مجلة شهرية

Issue No: 185 عدد:

January 2023 شهر كانون ثاني

نور المسيح يسوع المسيح الغالب

ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

الميلاد المجيد

ميلاد ربِّنا وإلها ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد

ميلادُك أيُّها المسيحُ إلهنا، قد أشرقَ نور المعرفة للعالم.
لأنَّ الساجدين للكواكب به تعلَّمُوا من الكوكَبِ السجود
لكَ يا شمس العدل، وأن يعرفوا أنَّك من مَشارق العلوّ أتيت
يا ربُّ المجدُ لك.

عيد حافل لوالدة الإله الكليَّة القداسة

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد الميلاد المجيد - ٢٠٢١

اليَوْمَ بِوِلَادَةِ المَسِيحِ، اتَّحَدَتِ السَّمَاءُ والْأَرْضُ، اليَوْمَ حَضَرَ الإِلَهُ عَلَى الأَرْضِ وَارْتَقَى الإِنْسانُ إِلَى السَّمَاوَاتِ، اليَوْمَ يُرَى غَيْرُ المَنْظورِ بِطَبِيعَتِهِ مَنْظُورًا بِالْجَسَدِ لِأَجْلِ الإِنْسانِ «استيشرات ليتين عيد الميلاد»

تُعيِّدُ كَنيسَةُ المَسيحِ الأُرْثوذُكْسِيَّةُ لِهَذَا الحَدَثِ، وَلِهَذَا السِّرِّ اليَوْمَ فِي جَميعِ أَنْحَاءِ المَسْكونَةِ، بِمِلْءِ الفَرَحِ والِابْتِهاجِ وَفِي تَمْجيدٍ وَشُكْرٍ وَخَاصَّةً كَنيسَةَ أورشليم وَتَحْدِيدًا مَدينَةَ بَيْتَ لَحْم. إِذْ تَحْتَفِلُ بِهَذَا الحَدَثِ الفائِقِ الطَّبيعَةِ لِلِالْتِقَاءِ واتِّحادِ السَّماءِ والْأَرْضِ، وَبِحَقيقَةِ أَنَّ اللهَ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لِيُصْعِدَ الإِنْسانَ إِلَى السَّماءِ.

قَدْ تَمَّ هَذَا «كَمَا عَلِمَ وَكَمَا شَاءَ وَكَمَا ارْتَضَى اللهُ». فَالْآبُ سُرَّ، والْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا، وَرَأَيْنَا الإِلَهَ مُتَأَنِّسًا. وَلِمَحَبَّةِ اللهِ لِلإِنْسَانِ الَّتِي لَا تُحَدُّ، بِحَسَبِ الرَّسولِ بولُسْ الَّذِي عَبَرَ إِلَى السَّماءِ يقول:«لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ» (غل٤: ٤-٥). وَبِحَسَبِ مُرَنِّمِ الكَنيسَةِ، « إِنَّ الَّذِي وُلِدَ مِنْ الْآبِ قَبْلَ كَوْكَبِ الصُّبْحِ بِلَا أُمٍّ تَجَسَّدَ اليَوْمَ مِنْ البَتولِ عَلَى الأَرْضِ بِلَا أَبٍ. وَالْكائِنُ قَدْ صَارَ مِنْ أَجْلِنا مَا لَمْ يَكُنْ. الِابْنُ الوَحيدُ وَكَلِمَةُ اللهِ صَارَ أَيْضًا ابْنَ الإِنْسانِ، مِنَ الرُّوحِ القُدْسِ وَالْعَذْراءِ مَرْيَمَ، إِلهًا مُتَأَنِّسًا فِي أَقْنومٍ واحِدٍ وَطَبيعَتَين. لَقَدْ افْتَقَرَ لِأَجْلِنا لِنَغْتَنِيَ نَحْنُ، أَفْرَغَ ذاتَهُ لِنَمْتَلِئَ نَحْنُ، تَنازَلَ نَحْوَنا لِكَيْ نَرْتَفِعَ نَحْنُ، أَصْبَحَ طِفْلًا لِأَجْلِنا لِكَيْ نَكونَ بالِغينَ.»، وكما يشهد الرسول بولس في رسالته إلى أهل أفسس: «...إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ، إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ» (أف٤:١٣).

وَوَفْقًا لِلْقِديسِ أَثْنَاسِيُوسْ الكَبيرِ: «لَقَدْ ظَهَرَ لَنَا فِي جَسَدٍ بَشَرِيٍّ مِنْ أَجْلِ خَلاصِنا» (فِي التَّجَسُّدِ، PG 1، ص 228.) ، وَبِحَسَبِ القِدّيسِ يُوحَنَّا الذَّهَبِيِّ الفَمِ: «اللهُ غَيْرُ المَوْصوفِ ، غَيْرُ المُعَبَّرِ عَنْهُ ، غَيْرُ المَفْهومِ ، الَّذِي يُساوِي الْآبَ ، قَدْ اجْتَازَ مِنْ رَحِمِ عَذْراءَ ، وَتَعَطَّفَ لِيُولَدَ مِنِ امْرَأَةٍ» (العظة ٢ ، من إنجيل متى).

قَبْلَ مُعايَنَةِ هَذَا السِّرِّ، فَإِنَّ مُرَنِّمَ الكَنيسَةِ يَهْتِفُ بِانْدِهاشٍ: «إِنَّنِي

أُشاهِدُ سِرًّا غَرِيبًا بَاهِرًا، المَغَارَةَ سَمَاءً وَالْعَذْرَاءَ عَرْشًا شاروبِيمِيًّا والمِذْوَدَ مَحَلًّا شَرِيفًا أُضْجِعَ فِيهِ المَسِيحُ الإِلَه غَيْرُ الْمَوْسوعِ فِي مَكانٍ، فَلْنُسبحْهُ مُعَظِّمينَ.».

فِي الواقِعِ تَشَبَّهَتِ المَغَارَةُ بِالسَّمَاءِ، فَفِي مَغارَةِ بَيْتَ لَحْمَ اليَهوديَّةِ، وَفِي هَذَا الوَقْتِ، وَتَحْدِيدًا خِلالَ حُكْمِ أُوكْتَافِيُوسْ أُوغَسْطِسْ قَيْصَرَ، أَعْلَنَ اللهُ ذاتَهُ لِلْبَشَرِ فِي المَسيحِ بِالْجَسَدِ. فَالَّذِي لَا بَدْءَ لَهُ يَتَّخِذُ بِدايَةً، وَغَيْرُ المَنْظورِ يُشَاهَدُ. وَيَكْشِفُ اللهُ لِلْبَشَرِ تَجَسُّدَ ابْنِهِ مِنْ خِلالِ عَناصِرِ الطَّبيعَةِ. فَنَجْمٌ هَيِّئٌ «مَسَيَّرٌ مِنْ اللهِ» يَقودُ المَجُوسَ مُلوكَ الفُرْسِ عُلَماءَ وَمُسْتَكْشِفي الكَوْنِ، جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقَ، حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ. إِنَّ هَذَا الظُّهورَ العَجيبَ قَدْ أُعْلِنَ أَيْضًا عَبْرَ مَلائِكَتِهِ الَّذِينَ هَلَّلوا مُسَبِّحينَ: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلامُ، وَفِي أُنَاسِ الْمَسَرَّةُ» دَاعِينَ بِهَذَا العُمّالَ الكَادِحِينَ، أَيِ الرُّعاةَ الْسَاهِرِينَ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ. فَدَعَا اللهُ الرُّعاةَ والْمَجوسَ كَشُهودٍ وكارِزِينَ، كَمُعاوِنينَ وَمُشارِكِينَ فِي عَمَلِهِ. وَقَدْ اسْتَجَابُوا لِلدَّعْوَةِ الإِلَهِيَّةِ، مُنْحَنِينَ وَساجِدِينَ لِما أَبْصَروا المُنَزَّهَ عَنْ الزَّمانِ طِفْلًا مَوْضُوعًا فِي المَغَارَةِ فَعَرَفوا وَبَشَّروا وَأَذاعوا السِّرَّ الَّذِي رَأَوْهُ. الرُّعاةُ فِي بَلْدَتِهِمْ، والْمَجوسُ رَجَعُوا إِلَى بَلَدِهِمْ بابِلَ، بَعْدَ أَنْ هَرَبوا مِنْ «هِيرُودِسْ المِهْذارِ».

إِنَّ الْتَأَنْسَ وَميلادَ المَسيحِ بِحَسَبِ الجَسَدِ الَّذِي نَسْجُدُ لَهُ، مُنْتَظِرِينَ ظُهورَهُ الالَهِيَّ المُقَدَّس، مَا هوَ فَقَطْ إِلَّا بِدايَةَ أَسْرارِ اللهِ الخَلاصِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ. إِنَّ تَسَلْسُلَ الأَحْداثِ الخَلاصِيَّةِ هَذَا، هوَ عَمَلُ المَسيحِ بِأَكْمَلِهِ، الَّذِي بَدَأَهُ عَلَى الأَرْضِ « كَرَسولِ الرَّأْيِ العَظيمِ للهِ» إِنَّ رَبَّنا يَسُوعَ المَسيحَ قَدْ جَاءَ مِنْ الْآبِ ، وَعَاشَ عَلَى الأَرْضِ وَخالَطَ النّاسَ، وافْتَتَحَ وَأَسَّسَ وَثَبَّتَ عَلَى الأَرْضِ مَمْلَكَةَ اللهِ وَمَلَكوتَهُ حيث تكون واحِدَةً معَ جَسدِ المَسيحِ الَّتِي هِيَ الكَنيسَةُ، تَسْتَمِرُّ الكَنيسَةُ وَتواصِلُ عَمَلَ المَسيحِ أَيْ عَمَلَ المُصالَحَةِ وَالتَّعايُشِ السِّلْميِّ والْمَحَبَّةِ بَيْنَ النّاسِ. لَقَدْ أَسَّسَ الرَّبُّ المُتَجَسِّدُ هَذَا الْعَمَلَ بِتَعالِيمِهِ وَدَمِهِ مِنْ خِلالِ ذَبيحَتِهِ عَلَى الصَّليبِ. وَشَيَّدَ عَمَلَ التَّقْديسِ وَمَغْفِرَةَ الخَطايَا، وَالتَّعْليمَ وَتَهْذيبَ

وَتَجْمِيلَ أَخْلاقِ النّاسِ. ابْتَدَأَ المَسيحُ مِنْ بَيْتَ لَحْمَ مِنْ هَذِهِ المَغَارَةِ، فَقَدْ أَسَرَ المَسيحُ أَوْ ــ بِالْأَحْرَى ــ اصْطَادَ الكَوْنَ بِأَسْرِهِ، من دونِ جَيْشٍ، وَدونِ أَسْلِحَةٍ، وَلَكِنْ فَقَطْ مِنْ خِلالِ الرُّسُلِ الأُمِّيِّينَ الِاثْنَيْ عَشَرَ فِي العالَمِ، اَلَّذِينَ تَعَلَّموا بِالرُّوحِ القُدْسِ. إِنَّ الكَنيسَةَ كَمَلَكوتِ اللهِ عَلَى الأَرْضِ تَنْمو وَتَتَكاثَرُ وَتَتَعاظَمُ بِصَمْتٍ، من دونِ تَجْنيدِ أَتْباعٍ، وَلَكِنْ بِانْضِمامِ أَعْضائِهَا لَهَا مِنْ خِلالِ المَعْموديَّةِ.

وَرَأْسُ الكَنيسَةِ هوَ الرَّبُّ الْمُتَأَنِّسُ مُخَلِّصُ العالَمِ. وَطَالَمَا أَنَّ البَشَرِيَّةَ لَا تَتْبَعُ وَلَا تَسيرُ بِرِسالَةِ المَسيحِ المَلِكِ المَوْلودِ، فَإِنَّ حَياتَهَا سَتُصْبِحُ جَحِيمًا، بِمَعارِكَ وَحُروبٍ وَمَظالِمَ، وَهُوَ مَا نَرَاه أَحْيَانًا فِي يَوْمِنَا هَذَا، وَلَكِنْ إِنِ اقْتَبَلَتِ البَشَرِيَّةُ رِسالَةَ المَسيحِ وَطَبَّقَتْهَا، فَإِنَّ حَياتَهَا سَتَتَحَوَّلُ إِلَى فِرْدَوْسٍ.

لَا تَزَالُ كَنيسَةُ أورْشَليمَ تَعْمَلُ دُونَ تَوَقُّفٍ مُنْذُ تَأْسيسِها في هذا العَمَلِ الرِّعَائِيِّ والتَّقْديسيِّ، والْمُصالحَةِ، وَحِفْظِ الأَمَاكِنِ المُقَدَّسَةِ والسَّلامِ، فِي أَرْضِ النِّعْمَةِ. والْيَوْمَ، مِنْ مَكانِ مِيلادِ مُؤَسِّسِها بِالْجَسَدِ، فِي بَيْتَ لَحْمَ المُقَدَّسَةِ، فِي المَغَارَةِ القابِلَةِ الإِلَهَ وَفِي كَنيسَةِ المَهْدِ المَلَكِيَّةِ هَذِهِ اَلَّتِي مِنْ عَهْدِ اَلْإِمْبِراطوريَّيْنَ قُسْطَنْطينَ وَيُوسْتِينْيَانُوسْ، وَمِنْ هَذَا الْمَكَانِ الْمُقَدَّسِ، تُصَلِّي مِنْ أَجْلِ السَّلَامِ وَالْازْدِهَارِ، فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ وَخَاصَّةً فِي الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ، وَتَحْرِيرِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمَنْكُوبَةِ مِنَ الطَّفَرَاتِ الْوَبَائِيَّةِ الْمُعْدِيَةِ، وَتَتَمَنَّى فِي عِيدِ مِيلَادِ الْمَسِيحِ التَّوْفِيقَ وَالسَّعَادَةَ لِرَعِيَّتِهَا عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ وَفِي كُلِّ أَرْضٍ، وَلِزُوَّارِهَا الْأَتْقِيَاءِ، أَنْ يَحْمِيَهُمْ جَمِيعًا وَيَهَبَهُم السَّلَامَ وَالِاسْتِقْرَارَ وَالصِّحَّةَ وَالْعَافِيَةَ وَالْعُمْرَ الْمَدِيدَ وَكُلَّ بَرَكَةٍ سَمَاوِيَّةٍ. آمين.

فِي مَدينَةِ بَيْتَ لَحْمَ المُقَدَّسَةِ
عِيدِ المِيلَادِ المَجِيدِ ٢٠٢١

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

✝ «كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِماً فَرِحُونَ، كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ، كَأَنْ لاَ شَيْءَ لَنَا وَنَحْنُ نَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ» (٢كو ٦: ١٠).

يقول **بولس الرسول** عن ولادتنا مع **المسيح** في **المعمودية**: «مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ» (كو ٢: ١٢).

فالمعمودية ولادة جديدة من الماء والرُّوح (انظر يو ٣: ٥)، كما هي أيضًا دفنٌ مع **المسيح** وقيامةٌ أيضًا معه، حسب قول **بولس الرسول** أيضًا. وقبل هذا كلّه هناك **تجسُّد الله الكلمة** الذي هو ينبوع كُلّ نعمة ومصدر لكلّ ملء: «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقًّا... وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعاً أَخَذْنَا، وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ» (يو ١: ١٤-١٦). إذ إنَّهُ بدون **تجسُّد الابن** ما كُنَّا قد عرفنا **الآب** ولا رأينا **مجده ولا مجد الابن**، ولا حظينا بولادتنا منه ولادة روحيَّة، ولا صُلبنا معه، كقول **بولس الرسول**: «مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ» (غل ٢: ٢٠)، ولا مُتنا ودُفِنَّا ولا قمنا معه.

✚ فبتجسُّد المسيح نلنا كل هذه النِّعَم العظيمة

وفي هذا يقول القديس غريغوريوس النزينزي:

﴿لقد وُلد (المسيح) بكلِّ ما للإنسان ما خلا الخطيَّة. وُلد من عذراء طَهَّرها جسدًا وروحًا، وخرج منها إلهًا مع الجسد الذي اقتناه واحدًا من اثنين مختلفين، جسدًا وروحًا، حيث كان أحدهما **يؤلِّه** والآخر **يُؤلَّه**. يا له من اقترانٍ من نوعٍ جديد! يا له من اتِّصالٍ مُدهش عجيب!.

فهو «الكائن بذاته» «يصير» (جسدًا) (يو ١: ١٤)، وغير المخلوق يأخذ صفة المخلوق، وغير المُحْوَى يدخل إلى حدود (الزمان والمكان)، ومُعطي الغِنَى يجعل نفسه فقيرًا (٢كو ٨: ٩). إنَّهُ افتقر بأَخْذ جسدي، لكي أغتني أنا بلاهوته.

هوذا المملوء (نعمةً وحقًّا) (يو ١: ١٤) يُخلي نفسه أي يُفرغ ذاته (فيلبي ٢: ٧). فإنه يُفرغ ذاته من مجده الخاص إلى حين، حتى أشترك أنا في امتلائه (يو ١: ١٦). فما أعظم غِنَى صلاحه! وما أعظم هذا السِّرَّ الحادث من أجلي!﴾.

✚ أمَّا **القديس أثناسيوس الكبير** فيُبيِّن لنا ما ربحه الإنسان من **تجسُّد الكلمة** بقوله:

﴿مَن لا يعجب لذلك؟ مَن لا يُوافق بأنَّ هذا الأَمر إلهيٌّ حقًّا؟ لأنَّهُ لو لم تكن أعمال اللوغوس الإلهيَّة قد تمَّت بواسطة الجسد، لما كان الإنسان قد تألَّه! وأيضًا لو لم تكن الضعفات الخاصة بالجسد قد نُسِبَت للكلمة، لما كان الإنسان تحرَّر منها بالتَّمام؛ بل حتى ولو توقَّفت إلى حين – كما قلتُ – كانت ستبقى الخطيَّة والفساد فيه، كما كانت في البشر السَّابقين... وأمَّا الآن وقد صار الكلمة إنسانًا، وقد اقتنى لنفسه خاصةً أمور الجسد، لم تَعُدْ هذه ماسكة (ملتصقة) في الجسد بسبب الكلمة الذي صار فيه؛ بل صارت تُستأصَل بواسطته، والبشر لا يعودون فيما بعد خطاةً ومائتين بحسب أوجاعهم الخاصة، ولكنهم يقومون بقوَّة اللوغوس ويبقون إلى الأبد غير مائتين وعديمي الفساد!﴾.

دخول الفرح إلى العالم بتجسُّد ابن الله الكلمة:

عندما وُلد **المسيح** في بيت لحم اليهودية، «كَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ (يبيتون في البريَّة) يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ، وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا خَوْفاً عَظِيماً. فَقَالَ لَهُمُ الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافُوا. فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ...» (لو ٢: ٨-١١).

لم يحدث قَطُّ في تاريخ البشريَّة كلِّها منذ وُلِدَ إنسانٌ على الأرض مهما عَظُمَ شأنه، أنْ يظهر ملاكٌ من السماء لكي يُبشِّر البشر، حاملًا رسالة صادرة إليهم من اللهِ عن مولود عجيب «وُلد لهم اليوم»، سيُغيِّر وجه التاريخ ويُدخِل للعالم فرحًا عظيمًا ليس له مثيلٌ من قبل، ستظلُّ البشريّة تستمدُّ منه مسرَّتها إلى نهاية الأيام وانقضاء الدَّهر. فهو فرحٌ لا يُنطَق به ومجيد. وهو الفرح الذي عبَّر عنه في نفس ليلة الميلاد «جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ.» (لو ٢: ١٣-١٤).

فبميلاد هذا المولود «المُخلِّص» بَدَأَ عهدٌ جديد من الفرح والمسرَّة

والسَّلام وتمجيد **الله** على الأرض، كما هو في السَّماء، حتى أنَّ أحزان هذا العالم وآلامه وضيقاته لن تَقْوَى على نزع هذا الفرح من قلب الإنسان الذي آمن **بالمسيح** وقبله مُخلِّصًا وفاديًا. وهذا ما عبَّر عنه **بولس الرسول**: «كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِماً فَرِحُونَ، كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ، كَأَنْ لاَ شَيْءَ لَنَا وَنَحْنُ نَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ» (٢كو ٦: ١٠)؛ وأيضًا قوله: «فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي لِكَيْ تَحِلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ. لِذلِكَ أُسَرُّ بِالضَّعَفَاتِ وَالشَّتَائِمِ وَالضَّرُورَاتِ وَالاِضْطِهَادَاتِ وَالضِّيقَاتِ لأَجْلِ الْمَسِيحِ. لأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ» (٢كو ١٢: ٩-١٠).

وهذا هو ما قاله **الرَّبُّ يسوع** لتلاميذه في الموعظة على الجبل: «طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ. اِفْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَوَاتِ، فَإِنَّهُمْ هكَذَا طَرَدُوا الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ» (مت ٥: ١١-١٢).

كما قال لهم أيضًا في ليلة آلامه: «اَلْحَقَّ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ سَتَبْكُونَ وَتَنُوحُونَ وَالْعَالَمُ يَفْرَحُ. أَنْتُمْ سَتَحْزَنُونَ، وَلكِنَّ حُزْنَكُمْ يَتَحَوَّلُ إِلَى فَرَحٍ. اَلْمَرْأَةُ وَهِيَ تَلِدُ تَحْزَنُ لأَنَّ سَاعَتَهَا قَدْ جَاءَتْ، وَلكِنْ مَتَى وَلَدَتِ الطِّفْلَ لاَ تَعُودُ تَذْكُرُ الشِّدَّةَ لِسَبَبِ الْفَرَحِ، لأَنَّهُ قَدْ وُلِدَ إِنْسَانٌ فِي الْعَالَمِ. فَأَنْتُمْ كَذلِكَ، عِنْدَكُمُ الآنَ حُزْنٌ. وَلكِنِّي سَأَرَاكُمْ أَيْضاً فَتَفْرَحُ قُلُوبُكُمْ، وَلاَ يَنْزَعُ أَحَدٌ فَرَحَكُمْ مِنْكُمْ» (يو ١٦: ٢٠-٢٢).

وهذا هو ما اختبره **التلاميذ** بعد **قيامة الرَّبّ يسوع** من بين الأموات وظهوره في العليَّة والأبواب مُغلَّقة بسبب الخوف من اليهود، إذ «جَاءَ يَسُوعُ وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ لَهُمْ: سَلاَمٌ لَكُمْ. وَلَمَّا قَالَ هذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ، فَفَرِحَ التَّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ» (يو ٢٠: ١٩-٢٠). كما «ذَهَبُوا فَرِحِينَ مِنْ أَمَامِ الْمَجْمَعِ، لأَنَّهُمْ حُسِبُوا مُسْتَأْهِلِينَ أَنْ يُهَانُوا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ» (أع ٥: ٤١)، وذلك حينما قبضوا عليهم وجلدوهم لمَّا وجدوهم يكرزون في الهيكل **باسم المسيح**.

وهذا ما تنبَّأ به **إشعياء النبي** قائلًا: «فَرَحاً أَفْرَحُ بِالرَّبِّ. تَبْتَهِجُ نَفْسِي بِإِلهِي، لأَنَّهُ قَدِ أَلْبَسَنِي ثِيَابَ الْخَلاَصِ. كَسَانِي رِدَاءَ الْبِرِّ، مِثْلَ عَرِيسٍ يَتَزَيَّنُ بِعِمَامَةٍ، وَمِثْلَ عَرُوسٍ تَتَزَيَّنُ بِحُلِيِّهَا» (إش ٦١: ١٠).

لذلك يَحُثُّنا **بولس الرسول** أنْ نفرح في **الرَّبّ** كل حين: «اِفْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، وَأَقُولُ أَيْضاً: افْرَحُوا» (في ٤: ٤؛ ٣: ١؛ ١تس ٥: ١٦).

ويعقوب الرسول يَعتبِر أنَّ التَّجارب مصدر لكلِّ فرح! إذ يقول: «احْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْراً» (يع ١: ٣).

الرَّبّ يسوع شَبَّه موته بولادة إنسانٍ جديد:

حينما أراد **الرَّبُّ** أن يُعزِّي تلاميذه ويُشدِّدهم، ويؤكِّد لهم أنَّ موته على الصليب هو لمنفعتهم وفرحهم، ساق لهم مثال المرأة حينما تلد، فهي تحزن لأن ساعتها قد جاءت، ولكن متى وَلَدت الطفل لا تعود تذكر الشِّدَّة لسبب الفرح، لأنَّه قد وُلِدَ إنسانٌ في العالم؛ ثم قال لهم: «فَأَنْتُمْ كَذلِكَ، عِنْدَكُمُ الآنَ حُزْنٌ. وَلكِنِّي سَأَرَاكُمْ أَيْضاً فَتَفْرَحُ قُلُوبُكُمْ، وَلاَ يَنْزَعُ أَحَدٌ فَرَحَكُمْ مِنْكُمْ» (يو ١٦: ٢٠-٢٢).

فالمسيح بموتِهِ وقيامتِهِ أكمل عمل الخلاص وفداء البشريَّة وولادة الإنسان الجديد، وكنيسة العهد الجديد؛ وهذا إشارة إلى نبوَّة **إشعياء النبي** ونشيده الرُّؤيوي عن أورشليم التي ولدت شعبًا جديدًا: «مَنْ سَمِعَ مِثْلَ هذَا؟ مَنْ رَأَى مِثْلَ هذِهِ؟ هَلْ تَمْخَضُ بِلاَدٌ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، أَوْ تُولَدُ أُمَّةٌ دَفْعَةً وَاحِدَةً؟ فَقَدْ مَخَضَتْ صِهْيَوْنُ، بَلْ وَلَدَتْ بَنِيهَا... افْرَحُوا مَعَ أُورُشَلِيمَ وَابْتَهِجُوا مَعاً، يَا جَمِيعَ مُحِبِّيهَا. اِفْرَحُوا مَعَهَا فَرَحاً، يَا جَمِيعَ النَّائِحِينَ عَلَيْهَا، لِكَيْ تَرْضَعُوا وَتَشْبَعُوا مِنْ ثَدْيِ تَعْزِيَاتِهَا، لِكَيْ تَعْصِرُوا وَتَتَلَذَّذُوا مِنْ دِرَّةِ مَجْدِهَا» (إش ٦٦: ٨-١١).

فالجماعة المسيحيَّة الصغيرة التي آمنت **بالمسيح** قبل صَلْبه، هي التي اختبرت عند أقدام الصليب، أوجاع ابنة صهيون بالاشتراك مع **المسيح** العبد المتألِّم. **ومريم العذراء**، بنوعٍ خاص، التي ولدت **ابن الله**، تألَّمتْ في جسدها وفي نفسها منذ حَبِلَتْ به وشكَّ فيها **يوسف** خطيبها، كما اشتركتْ مع **مُخلِّصها** في تنكُّر أسرته له وقالوا عنه إنه مُختَلُّ العقل، ورأَتْ مقاومة رؤساء الكهنة والكَتَبَة والفرِّيسيين ومؤامراتهم ضدَّه. كما عاينتْ ابنها الحبيب على الصليب، وتحقَّقت نبوءة **سمعان الشيخ** لها: «هَا إِنَّ هذَا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، وَلِعَلاَمَةٍ تُقَاوَمُ. وَأَنْتِ أَيْضاً يَجُوزُ فِي نَفْسِكِ سَيْفٌ» (لو ٢: ٣٤، ٣٥).

وعند الصليب نظر **الرَّبّ يسوع** إلى **أُمِّه** الواقفة تحت الصليب مع تلميذه الحبيب المُخْلِص **يوحنا** وقال لها: «"يَا امْرَأَةُ، هُوَذَا ابْنُكِ". ثُمَّ قَالَ لِلتِّلْمِيذِ: "هُوَذَا أُمُّكَ"» (يو ١٩: ٢٦-٢٧). وهكذا أصبحت **القديسة مريم والدة الإله**، **وأُم الرَّبّ يسوع** هي **أُم يوحنا** وبالتالي صارت **أُم الكنيسة** وأُم جميع المؤمنين. ويُلاحَظ أنَّهُ في إنجيل **القديس يوحنا** لم تُلقَّب «الأُم» ولا «التلميذ» باسميهما أي «مريم» و«يوحنا»، إنَّما سُمِّيا بحسب دعوتهما، فهُما شخصيتان رمزيَّتان؛ بل أيقونتان للكنيسة بصفتهما الرمزيَّة في الكنيسة: فمريم هي الأُم وأُم الكنيسة، ويوحنا هو الابن الحبيب والمؤمن الذي يرمز إلى جميع المؤمنين.

✠ والآن نختم بأُنشودة قالها القديس غريغوريوس العجائبي عن التجسُّد والميلاد:

﴿اليوم تتهلَّل صفوف الملائكة بالتسابيح، ونور حضرة المسيح يُضيء على المؤمنين. اليوم قد جاء الربيع البهيج، الذي هو المسيح شمس البرِّ، وقد أضاء حولنا بنوره البَهِيِّ، وأنار أذهان المؤمنين. اليوم آدم يُخلَق من جديد، ويطفُر مع الملائكة مُنطلقًا إلى السَّماء. اليوم جميع أرجاء المسكونة اكتست بالفرح، لأن الرُّوح القُدُس قد حلَّ على البشر. اليوم النعمة الإلهيَّة ورجاء الخيرات غير المنظورة تُضيء بالعجائب التي تفوق العقل، وتكشف لنا بوضوح السرَّ المخفيَّ منذ الدهر... اليوم يتمُّ قول داود القائل: «تفرح السموات وتتهلَّلُ الأرض...، ولتفرح البقاع وكلُّ ما فيها... حينئذ يبتهج شجر الغاب من قدَّام وجه الرَّبّ، لأنَّهُ أتى، إنَّهُ يأتي ليُدِينَ الأرض، يُدينُ المسكونة بالعدل والشعوب بحقِّهِ.» (مز ٩٥)﴾.

يا لَعظمةِ سِرِّ التجسُّد الإلٰهيّ، وميلاد المُخلِّص:

في كاطافسيات الميلاد تُرنِّم الكنيسة قائلة:

المسيح وُلِدَ فَمجِّدوه، المسيح أتى من السَّمواتِ فاستقبِلُوه، المسيح على الأرض فارتفعوا. رتِّلي للرَّبِّ أيَّتُها الأرض كلُّها، ويا شعوب سبِّحُوه بابتهاج، لأنَّهُ قد تمجَّد.

إنَّ السَّيِّد قد صَنَع معجزةً فخلَّصَ الشَّعبَ، لما حوَّل قديمًا:أمواج البحر الرَّطْبَة إلى يابسةٍ، وإذ وُلِدَ الآن من فتاةٍ باختيارِه، جعل لنا طريق السَّماء مسلوكًا، وهو مساوٍ للآب وللبشر في الجوهر، فلذلك نمجده.

لنصرخ نحو الابن المولودِ من الآبِ قبل الدُّهور بدونِ استحالة، المسيح الإله الذي تجسَّد في آخر الأزمنة من البتول بغيرِ زرعٍ هاتفين: يا من رفع شأننا قدوسٌ أنت يا رَبُّ.

إنعطف أيُّها المحسن، إلى تسابيح عبيدك، مُزيلًا تشامخ العَدُوِّ المتكبِّر، واجعلنا نحن المرتلين لك، منتصرين على الخطيئة، وثابتين على قاعدة الإيمان غير المتزعزعة.

أيُّهَا المحب البشر، بما أنَّك إله السلام وأبو المراحم، فقد أرسلت لنا رسول رأيكَ العظيم، مانحًا إيَّانا سلامك، ولذا إذ قد اهتدينا لنور المعرفة الإلٰهيَّة، فنحنُ نُدْلِجُ من الليل ممجدين لك.

أيُّهَا المسيح امنحنا غفرانًا، نحن المُظْلِمِينَ منذ الليل بأفعال الضَّلال، المقيمين لك الآن تسبيحًا بنشاطٍ بما أنَّك المحسن، لكي تُبادر إلينا فتقيمَ لنا سبيلًا صالحًا، حتى إذا سلكناه نجد مجدًا وشرفًا.

إنَّ الفتية إذ قد نشأوا معًا على حُسن العبادة، مُزدَرين بأمر الملحد، لم يجزعوا من وعيد النار، لكنهم كانوا يرتلون وهم قائمون في وسط اللهيب: مبارك أنت يا إله آبائنا.

إنَّ الفتية لما تمسكوا بمحبة ملك الكل ٱزدروا بهذر وتحديف المغتصب الملحد، الذي إذ امتلأ حنقًا دفعهم إلى النَّار الهائلة فلم تُؤْذِهِمْ، فهتفوا نحو السَّيد قائلين: مبارك أنت مدى الدهور.

✻ **والقديس غريغوريوس الناطق بالإلهيَّات** في عظته عن: «**الثيوفانيا – ميلاد المسيح**» يُردِّد بتهليل قائلًا:

﴿كلمة الله ذاته، الأبديّ الذي هو قبل كُلِّ الدُّهور، وهو غير المنظور، غير المفحوص، وغير الجسدي، البدء الذي من البدء، النور الذي من النور، مصدر الحياة والخلود، صورة الجمال الأصلي الأول، الخَتْم الذي لا يزول، الصورة التي لا تتغيَّر، كلمة الآب وإعلانه؛ هذا أتى إلى صورته، وأَخَذَ جسدًا لأجل جسدنا، ووحَّد ذاته بنفسٍ عاقلة لأجل نفسي لكي يُطهِّر الشَّبَهَ بواسطه شَبَهِهِ، وصار إنسانًا مثلنا في كلِّ شيء ما عدا الخطيَّة، إذ وُلِدَ من العذراء التي طُهِّرَت أولاً نفسًا وجسدًا بالرُّوح القُدُس. وهكذا حتى بعد أن اتَّخذ جسدًا ظلَّ إلهًا، إذ هو شخصٌ واحد من الاثنين (لاهوت وناسوت).

يا له من اتِّحادٍ عجيب، الكائن بذاته يأتي إلى الوجود، غير المخلوق (كإله) يُخلَق (أي يتَّحد بناسوت خَلَقَه هو بالرُّوح القُدُس في أحشاء العذراء)، غير المُحوَى يُحوَى بواسطة نفسٍ عاقلة تتوسَّط بين الأُلوهة والجسد المادِيِّ. ذاك الذي يمنح الغِنَى يصير فقيرًا، فقد أَخَذَ على نفسه فقرًا جَسَدِيًّا، لكي آخُذ أنا غِنَى لاهوته. ذاكَ الَّذي هو الملء يُخْلِي نفسه، لأنَّهُ أخلى نفسه من مجده لفترةٍ قصيرة ليكون لي نصيبٌ في مِلْئِهِ. أيُّ صلاحٍ هذا! وأيُّ سِرٍّ يُحيط بي! اشتَرَكتُ في الصورة (عندما خلقني على صورته)، ولم أَصُنْها؛ فاشْتَرَكَ (هو) في جسدي لكي يُخلِّص الصورة (التي تشوَّهَت بفعل التَّعَدِّي والسُّقوط)، ولكي يجعل الجسد (المائت) عديم الموت... هذا العمل الأخير (أي تجسُّد كلمة الله) يليق بالله أكثر من الأول (أي الخلق)، وهو سامٍ جدًّا في نظر الفاهمين﴾.

«وُلِدَ لكم اليوم... مُخلِّص هو المسيح الرَّبُّ»:

في بشارة ملاك **الرَّبِّ** للرُّعاةِ، يقول لهم: «لاَ تَخَافُوا. فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ» (لو ٢: ١٠،١١). وما نُرَكِّز عليه في هذه الآية هو قول **الملاك**: «... أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ... مُخَلِّصٌ». فقد وُلِدَ لنا **المُخلِّص المسيح الرَّبّ** لكلِّ واحدٍ منَّا شخصيًّا. فقد وُلِدَ **المُخلِّص** لأجل خلاص كلِّ واحدٍ فواحد، لكلِّ مَن يؤمن به وَيَقْبَلُهُ مُخلِّصًا له. هكذا يكون ميلاد المخلِّص، وهكذا تُردِّد الكنيسة كما ذَكَرنا في كاطافسيات الميلاد.

وفي نبوّة **إشعياء النبي** يقول: «لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْناً، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ: عَجِيباً مُشِيراً، إِلهاً قَدِيراً، أَباً أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ» (إش ٩: ٦).

وفي **ترتيب المطالبسيّ الإلهيّ (الصلاة قبل المناولة)** ترتّم الكنيسة وتشير الى الخلاص الذي وهبه لنا المسيح فتنشد قائلة:

أيَّتُها المباركة عروس الله، الأرض الصالحة. يا من افرَعتِ السُّنبلة المُخَلِّصَة العالم من غير فلاحة. أَهليني ان أخلُص بأكلي منها.

أيَّتُها الكليَّة القداسة بما أنَّكِ مائدة خبز الحياة الَّذي انْحَدَرَ من العُلوِّ من تلقاءِ رحمتِهِ؛ ومنَحَ العالم حياةً جديدة. أَهليني الآن ايضًا انا غير المستحقّ ان اذوق بخوفٍ هذا الخبز واحيا بِهِ.

✻ ويقول **القديس كيرلُّس الكبير**:

﴿... إنَّ الرَّبَّ – رغم أنَّهُ هو الله – ظَهَرَ لَنَا. ورغم أنَّهُ في صورة الآب، هو ذو تفوُّق فائق وشامل، فقد أَخَذَ شكل عبد. ولكن، رغم هذا، فإنه هو إلهٌ وربٌّ، فهو لم يَزَل كما كان (إلهًا قبل أنْ يتجسَّد)﴾ («**تفسير إنجيل لوقا**»، **الأصحاح الثاني، العظة الثانية**).

كلمة الله وُلِد كإنسانٍ من العذراء مريم:

للمسيح ميلادان: فهو لكونه كلمة الله وابن الله الوحيد فله ميلادٌ أزليٌّ قبل كُلِّ الدُّهور من الآب: «فِي الْبَدْءِ (**منذ الأزل**) كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ» (يو ١: ١-٢)؛ ولأنه تنازَل وأتى إلى عالمنا السَّاقط لكي يُخلِّصه ويَهَبه الحياة الأبديَّة، فقد وُلِدَ ميلادًا زمنيًّا من **العذراء القديسة مريم**: «وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ» (غل ٤: ٤، ٥)

✻ ويقول **القديس كيرلُّس الكبير**: في هذا الصدد:

﴿الكلمة الذي من الله الآب، دُعِيَ إنسانًا رغم كونه بالطبيعة الله، لأنه اشترك في الدم واللحم مثلنا (عب٢: ١٤). وعندما حدث ذلك (أي تَجَسَّدَ) لم يفقد شيئًا مِمَّا له (أي لاهوته). وإذ أَخَذَ طبيعة بشريَّة مثلنا (أي مُماثلة لنا في كلِّ شيء ما خلا الخطيَّة وحدها) لكنها كاملة؛ (إلَّا أنَّهُ) ظلَّ أيضًا الله ورَبَّ الكُلِّ، لأنَّهُ هو هكذا فعلًا، وبطبيعته وبالحقِّ مولودٌ من الآب (قبل كُلِّ الدهور) رغم تجسُّده...

ورغم أنَّ العذراء مريم وَلَدَت الهيكل (**كلمة شائعة عند الآباء للدلالة على ناسوت المسيح**) المُتَّحد بالكلمة، إلَّا أنَّ عمانوئيل قيل عنه، وهذا حقٌّ: «(الرَّبُّ) من السَّماء» (١كو١٥: ٤٧)، لأنَّهُ من فوق، ومولودٌ من جوهر الآب. وإن كان قد نزل إلينا عندما صار إنسانًا إلَّا أنَّهُ من فوق... ولذلك نقول إنَّ ابن الإنسان نزل من السَّماء، وهذا تدبير الاتِّحاد، لأن الكلمة وَهَبَ لجسده كل صفات مجده وكل ما هو فائقٌ وخاصٌّ بالله﴾ («**شرح تجسُّد الابن الوحيد**»: **٤**).

كلمة الله غير مخلوق، ولكن جسده مخلوق:

لقد سقط الهراطقة في فكرٍ منحرف، واختلط عليهم الأمر، ولم يُميِّزوا بين كلمة الله غير المخلوق؛ وبين ناسوته الذي اتَّحد به بحسب التدبير، وهو ناسوت مخلوق. وهذا الأمر يشرحه **القديس أثناسيوس الكبير** في رسالته ضدّ **أبوليناريوس** قائلًا:

﴿لقد علَّم الآباء أنَّ الابن مساوٍ للآب في الجوهر، وأنَّهُ «إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقٍّ»، أي أنَّهُ كاملٌ من كاملٍ، ثم أضافوا مؤكِّدين: «نزل من السَّماء لأجل خلاصنا، وتجسَّد وتأنَّس». وبعد ذلك نعترف بأنَّهُ «تألَّم وقام». وحتى لا يُخطئ أحد إذا سمع أنَّ الكلمة تألَّم ومات، ويعتقد أنَّ الله الكلمة قد تغيَّر جوهره، أكَّد الآباء بكلِّ وضوح، أنَّ الابن غير مُتغيِّر ولا متألِّم...

أخبرونا يا مَن اخترعتم إنجيلًا جديدًا خاصًّا بكم... مِن أيِّ مصدرٍ أخذتم البشارة التي تجعلكم تقولون إنَّ الجسد (الذي اتَّحد به كلمة الله) «غير مخلوق»؟ ألَا يجعلكم هذا تتخيَّلون أَمْرَيْن لا ثالث لهما: إمَّا أنَّ لاهوت الكلمة قد تحوَّل إلى جسدٍ، وإمَّا أنكم تعتقدون أنَّ تدبير الآلام والموت والقيامة خيالٌ لم يحدث. وهذان التصوُّران، كلاهما خطأ؛ لأن جوهر الثالوث هو وحده غير المخلوق والأبدي، وغير المتألِّم وغير المُتغيِّر. أما المسيح حسب الجسد (رو ٩: ٥)، فقد وُلِدَ من الناس الذين قيل عنهم: «إخوته»، بل تغيَّر (ناسوته وتمجَّد) بقيامته فصار بعد قيامته «باكورة الرَّاقدين» (كو ١: ١٨)... فكيف تُسمُّون الناسوت الذي تغيَّر من الموت إلى الحياة «غير مخلوق»؟ وكيف تفترضون العكس، عندما تُسمُّون غير المخلوق (كلمة الله) بالمُتغيِّر؟ لأنكم عندما تُسمُّون جوهر الكلمة غير المخلوق بالمُتغيِّر، فأنتم تُجدِّفون على أُلوهيَّة الكلمة. وعندما تصفون الجسد المُتغيِّر المُكوَّن من عظامٍ ودماءٍ ونفسٍ إنسانيَّة، أي كُلّ مكوِّنات أجسادنا، والذي صار ظاهرًا ومحسوسًا مثل أجسادنا؛ تصفون كُلّ هذا بأنَّهُ «غير مخلوق»، (فإنكم) تسقطون سقوطًا شنيعًا في خطأين: أولهما: إنكم تفترضون أنَّ الآلام التي احتملها (المسيح جسديًّا) هي مجرَّد خيال، وهذا **تجديف المانويين**؛ أو إنكم تعتَبِرون أنَّ اللاهوت له طبيعة ظاهرة محسوسة، رغم أنه جوهرٌ غير مخلوق، وبالتالي فهو غير ظاهر ولا محسوس، وهذا التصوُّر الأخير يضعكم مع الذين يتصوَّرون أنَّ الله كائنٌ في شكلٍ بشريٍّ جسداني (وهي بدعة تقول إنَّ الله في جوهره مثل الإنسان له أعضاء بشرية)...﴾ («**ضدّ أبوليناريوس**»: **٣**).

تجسُّد كلمة الله لم يَحدَّ من وجوده كإله في كلِّ مكان:

وكما يقول **بولس الرسول**: «فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا» (كو٢: ٩). ولكن بالرغم من **تجسُّد كلمة الله**، إلَّا أنَّهُ بلاهوته كائنٌ في كلِّ مكان ولا يخلو منه مكان. وهذا ما يُوضِّحه **القديس أثناسيوس الكبير**:

﴿لأنَّهُ لم يكن محصورًا (كإله) في الجسد – كما يتوهَّم البعض – أو أنَّهُ بسبب وجوده في الجسد كان كُلّ مكانٍ آخر خاليًا منه، أو أنَّهُ بينما كان يُحرِّك الجسد كان العالم محرومًا من أفعال قدرته وعنايته. غير أنَّ

الأمر العجيب والمُدهش جدًّا هو أنَّهُ مع كونه هو الكلمة الذي لا يحويه شيء، فإنه هو نفسه يحوي كل الأشياء. وبينما هو موجودٌ في كل الخليقة؛ فإنَّهُ بحسب جوهره، هو مُتميِّز عن كُلِّ الخليقة. فهو حاضرٌ في كل الأشياء بقدرته فقط، ضابطًا كل الأشياء ومُظهِرًا سيادته على كُلِّ شيء وعنايته بكلِّ شيء، وواهِبًا الحياة لكلِّ شيء. ومع أنَّهُ يحوي كل الأشياء ولا يحتويه شيء، إلَّا أنَّهُ كائنٌ كلِّيةً في أبيه وحده.

وهكذا حتى مع وجوده في جسدٍ بشري، مُعطيًا الحياة له، فقد كان من الطبيعي أن يمنح الحياة للكون كلّه في نفس الوقت... لم يكُن (كلمة الله) مُقيَّدًا بسبب الجسد (الذي اتَّحد به)، بل بالحريّ كان يستخدم جسده. ولذلك فهو لم يوجد في الجسد فقط، بل كان موجودًا بالفعل في كلِّ شيء... وهذا هو الأمر العجيب، أنَّهُ بينما كان يتصرَّف كإنسانٍ، كان ككلمة الله يُحيي كل الأشياء، وكابنٍ كان كائنًا في أبيه. ولذلك عندما وَلَدَته العذراء، لم يَعتَرِه أي تغيُّر (من جهة لاهوته)، ولا تدنَّس بحلولِهِ في الجسد؛ بل بالعكس فهو قد قدَّس الجسد أيضًا» («**تجسُّد الكلمة**»، ١٧: ١، ٤، ٥).

افتقر وهو الغَنِيُّ، لكي نستغني بفقرِهِ:

لقد أوضح **القديس بولس** وَلَخَّصَ تدبير التجسُّد في هذه الكلمات: «فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ» (٢كو٨: ٩). **فكلمة الله** هو الغَنِيُّ بلاهوته وقدرته الإلهيَّة، لكنه من أجلنا ومن أجل خلاصنا، سُرَّ أن يفتقر أي يُخْلِي ذاته من مجد لاهوته، ويأخذ جسدًا وضيعًا يتَّحد به ويصير في شِبْه الناس؛ لكي نستغني نحن الفقراء بالخيرات العتيدة وبالشَّركة مع الله وبالحياة الأبديَّة بواسطة **تجسُّد كلمة الله**. ولذلك يقول **القديس يوحنا** في إنجيله: «وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعاً أَخَذْنَا، وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ» (يو١: ١٦)، ويقول أيضًا **القديس بولس**: «وَأَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيهِ، الَّذِي هُوَ رَأْسُ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ» (كو٢: ١٠). ويُوضِّح **بطرس الرسول** الغاية النهائيَّة من **تجسُّد ابن الله**، بأن نصير: «شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ» (٢بط ١: ٤).

على ما أعتقد أنَّ هذا هو سِرُّ عظمة **إيليا**، ومَن جاء بعده بروح **إيليا** وقوَّته، الذي «لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ» (مت١١: ١١). إنْ كان تاريخ حياتِهما يُعطي دروسًا كثيرة، فمن المؤكد أنَّ الذي نتعلَّمه قبل كل شيء هو نمط حياتهما. فالإنسان الذي ثَبُتَتْ أفكاره على ما لا يُرى، ينفصل بالضرورة عن كل نشاطات الحياة العاديَّة، ولا يمكن تشويش أحكامه عن الصلاح الحقيقيِّ وتضليلها، بالخداع الذي ينشأ من الحواسِّ.

كلاهما عَزَلَ ذاته من صباه عن المجتمع البشريّ، وبصورة ما عن الطبيعة البشريَّة، بتجاهُلِهِمَا للأنواع المعتادة من الطَّعام والشَّراب، وتغرُّبهما في البريَّة. لقد أشبعا حاجتهما بالغذاء الذي صادفهُما في طريقِهِمَا، حتى تبقى حاسة التذوُّق لديهما بسيطة وغير مُدَلَّلة. وإذ تحرَّرت أُذُنَاهما من كُلِّ ضجيجٍ مشوش، وأعينهما من كل نظرات زائغة، بلغوا إلى حالة صفاء للنفس لا تتعكَّر، ووصلوا إلى ذلك العُلوّ من الاستحسان الإلهي، الذي سجله لنا الكتاب المقدس عن كُلٍّ منهما.

فقد صار **إيليا** مثلًا هو المؤزِع لنعم الله الأرضيَّة، فكان له سلطان أن يغلق – كما يريد – السَّماء **ضِدَّ الخَطأَة**، وأن يفتحها للتائبين. وبالفعل، لَمْ يُقلْ عن **يوحنا المعمدان** أنَّهُ صنع أيَّةَ معجزة، ولكن الموهبة التي فيه قد أُعلنت وانكشفت من خلال ذلك الذي يرى الأسرار (أي **المسيح**)، **كأعظم من جميع الأنبياء**.

كان هذا بالحقيقة هكذا، من البداية إلى النهاية، لأنَّ كليهما قد قدَّسا قلبيهما **للرَّبِّ**، حتى أنَّهما لم يتلوَّثا بِأَيَّةِ أهواءٍ أرضيَّة، لأنَّهما لم يخالطا حبهما **لله**، محبَّة زوجة أو طفل أو أي نداء بشريّ آخر، بل لم يحسبا حتى قُوتَهما اليومي مُستحقًّا للتفكير أو القَلَقِ. إذ أظهرا أنفسهما أنهما أكثر أهميَّة من أي ملابس فاخرة، وتدَّبرا بما قدمته إليهما المصادفة، أحدهما كان يلبس جلود معزى، والآخر كان يلبس من وبر الأبل.

أنَّني أعتقد أنَّ روحَيْهما ما كانتا تَصِلان إلى هذه الدرجة الرَّفيعة، لو أنَّ زواجًا أضفى عليهما ليونته.

إنَّ هذا ليس مجَّرد سرد للتاريخ، بل هذا كتب لإنذارنا نحن (١كو ١٠: ١١)، لكي ما نُوَجِّهَ حياتَنا بحياتِهم.

فماذا نتعلمه إذن؟

نتعلَّم أنَّ الإنسان الذي يشتاق **للاتحاد بالله**، يجب عليه أن يُحرِّر ذهنه – مثل هٰذين القديسين – من كُلِّ الاهتمامات العالميَّة، لأنَّهُ مستحيل على الذِّهن المشتَّت في أمور كثيرة أن يجد طريقة إلى معرفة **ومحبة الله**.

Reference: Nicene and Post-Nicene Fathers, Second Series, Vol. 5, Gregory of Nyssa, On Virginity

في هذا اليوم – **إبيفانيا باليوناني ومانيفستاتيو باللاتيني** – هيَّأ الفادي المستعلن لكُلِّ الأمم عيدًا مَهيبًا لكُلِّ الشعوب. ولذا نحن اليوم نحتفل باستعلان ذلك الذي احتفلنا بميلاده قبل أيامٍ قليلة.

بحسب التقليد، ربنا يسوع المسيح الذي وُلِدَ قبل إثني عشر يومًا، كَرَّمَهُ **المجوس** وسجدوا له في هذا اليوم. إكرام المجوس **للرَّبِّ** حقيقة وضَّحها الإنجيل، أمَّا في أي يوم فعلوا ذلك، يظهر حقيقةً أنَّ هذا العيد المجيد يُعيَّد به في كل مكان.

وبما أنَّ المجوس هم أوَّل من تعلَّموا أنَّ **المسيح** هو **الرَّبُّ**، من بين جميع الأمم (الوثنيين)، ولأنَّهم – إذ لم يستفيدوا بعد من كلامه – تَبِعُوا النَّجم الذي ظهر لهم، الذي تكلَّم لبصرهم مثل لسانٍ سماويّ بدلًا من الكلمة الرَّضيع، لذا من المناسب جدًّا أنْ تَتذكَّر الأمم بامتنان يوم الثِّمار الأول لخلاصهم، ويكرِّسانه بكُلِّ شكرٍ وولاءٍ مهيب **للمسيح الرَّبِّ**.

من الواضح أنَّ الثِّمار الأُولى لإيمان واستعلان **المسيح** بين اليهود كان للرُّعاةِ، الذين جاءوا إليه من الجوار القريب، ورأوه في اليوم ذاته الذي وُلِدَ فيه. لقد أُعْلِنَت لهم البشارة بواسطة الملائكة، أمَّا الآخرون فبواسطة النَّجم. قيل لهم: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي» (لو٢: ١٤)، أمَّا في الآخرين تمَّ هذا الكلام: حقًا أنَّ:«اَلسَّمَاوَاتُ تُذِيعُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِأَعمالِ يَدَيْهِ.» (مز١٨: ١).

مثل قدوم حائطين – أي المختونين وغير المختونين – من اتجاهين مختلفين، وقد اجتمعا كلاهما في حجر الزاوية، لكي يكون هو سلامهما، جاعلًا الاثنين واحدًا «وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ، الَّذِي فِيهِ كُلُّ الْبِنَاءِ مُرَكَّبًا مَعًا، يَنْمُو هَيْكَلاً مُقَدَّسًا فِي الرَّبِّ.» (أف٢: ٢٠-٢١).

سمعوا وطاعوا، جاءوا كلُّهم من القريب ومن البعيد، أقاموا سلامًا ووضعوا حدًّا للكراهِيَّةِ. الرُّعاة والمجوس هم الثِّمار الأولى لِليهود والأمم. فبهم بدأ «اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ» (إش ١: ٣). أنَّ الحيوان المُقرَّن يُمثِّل اليهود – الذين فيما بينهم تمَّ إعداد قرون الصليب **للمسيح**. الحيوان صاحب الأذن الطويلة (الحمار) يمثِّل الأمم، إذ أنَّهُ قيل مُسبقًا: «الشَّعب الذي لم أعرفه تعبَّد لي. وبسمع الآذن اطاعني» (مز ١٧: ٤٣-٤٤). من الواضح، أنَّ مالك الثور وسيِّد الحمار كان هناك في المعلف (المذود)، مُقدمًا لكليهما طعامًا مشتركًا.

الرُّعاة إذن، جاءوا من موقعهم القريب لينظروا، والمجوس جاءوا من بعيد ليسجدوا. هذا هو الاتضاع الذي جعل الزيتونة البريَّة مستحقة لكي تُطعَّم في الزيتونة الأصليَّة (أُنظر رومية ١١: ١٦-٢٤)، وتحمل ثمارًا بعكس طبيعتها، لأن النِّعمة جعلتها جديرة بتغيير طبيعتها. لأنَّه بالرَّغم من أنَّ العالم بأكمله كان ينمو بطياشة ومرارة في هذه الزيتونة البريَّة، إلَّا أنَّها بواسطة نعمة التطعيم، صارت خِصْبَة ومتألِّقة بالثِّمار. كما قال **النبيّ إرميا**: «إِلَيْكَ تَأْتِي الأُمَمُ مِنْ أَطْرَافِ الأَرْضِ، وَيَقُولُونَ: «إِنَّمَا وَرِثَ آبَاؤُنَا كَذِبًا وَأَبَاطِيلَ وَمَا لاَ مَنْفَعَةَ فِيهِ.» (إر ١٦: ١٩). وبحسب إنجيل لوقا: «وَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَمِنَ الْمَغَارِبِ وَمِنَ الشِّمَالِ وَالْجَنُوبِ، وَيَتَّكِئُونَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ.» (لو ١٣: ٢٩).

. هكذا يُدعى العالم بأكمله – بنعمة الثالوث – من أربعة اتجاهات البوصلة إلى الإيمان. عندما يؤخذ رقم أربعة ثلاث مرات، نحصل على الرَّقم المقدس الذي للرُّسل الاثني عشر، الذي يُعلن مسبقًا – إذا جاز التعبير – خلاص الأرض كلها من أربعة أطراف الأرض إلى نعمة الثالوث.

هذا الرَّقم مُشار إليه أيضًا بواسطة الأناء الذي ظهر **لبطرس**، والمملوء بكُلِّ الحيوانات – أي بكُلِّ الأمم. هنا أيضًا نرى الأناء مربوطًا وَمُدَلَّى بأربعة أطراف، وكان نزول وصعود الأناء ثلاث مرات، فنحصل أيضًا على رقم ١٢ من ضرب ثلاثة في أربعة. هكذا أيضًا – ربما يكون لهذا السبب – جاء المجوس أي الثمار الأولى للأمم بعد ١٢ يومًا من ميلاد **الرَّبِّ** لينظروا ويسجدوا **للمسيح**، فاستحقوا ليس فقط أن يقبلوا خلاصهم الخاص، بل أيضًا يشيروا إلى خلاص جميع الأمم.

References: Ancient Christian Writers Series, Vol. 15 , Augustine, Catholic University of America

✝ «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. احْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ» (مت ١١: ٢٨-٣٠).

ما هو نير الرَّبِّ؟

حقًّا يقول الرَّبّ: إنَّ «حِمْلِي خَفِيفٌ»، لأنَّهُ أيُّ حِمْلٍ هو؟ وأيُّ تعبٍ في أنْ نغفرَ للأخِ إساءاته لنا؟ فهو حقًّا أَمْرٌ خفيفٌ، بل وليس بشيء يُذكر أنْ نغفرَ وننسى بإرادتنا، فنُحسَب للوقتِ نحن أنفسنا أبرارًا.

فالرَّبُّ لم يَقُل: «قدِّموا لي أموالًا أو عُجولًا أو أغنامًا أو أصوامًا أو أسهارًا»، حتى تقول إنَّهُ ليست لديَّ هذه الأشياء، أو إنَّني لا أستطيع فِعْل مثل هذه الأمور. لكن، ما هو خفيفٌ وسهلٌ ويُعمَل بسرعة، هذا هو ما يطلبه الرَّبُّ منَّا أنْ نفعله: «اغفروا ما لأخيكم عليكم، وسأغفر أنا لكم ما هو عليكم نحوي. أنتم تُسامحون إساءات صغيرة أو تتركون ديونًا قليلة، بضعة قروش أو دُريهمات؛ أمَّا أنا فأُسامحكم إلى ستمئة وزنة فضة. ثم إنَّكم إذ تُسامحون لستم تعطون شيئًا مِمَّا لكم، في حين أنَّني إذ أمنحكم الغفران، أَهبكم – في نفس الوقت – شفاء النفس وميراث الملكوت».

«إنَّني أقبل عطاياك حالما تتصالح مع أعدائك، حينما لا تحمل أيَّةَ كراهِيَّة أو حقد على أحدٍ، وحين لا تَدَعُ الشَّمس تغرب على غيظك، وحين يُوْجَدُ فيك السَّلام والمحبة تُجاه كُلِّ الناس؛ حينذاك تُسمَع صلواتك، وتكون تقدمتك مقبولة ومرضِيَّة للهِ، فيصير بيتك مُباركًا وتتبارَك أنت أيضًا».

«أمَّا إذا كنتَ لا تريد أن تتصالح مع أخيك، فكيف يتسنَّى لك أنْ تطلب الصفح والغفران مِنِّي؟ أَتدوس كلامي في الأرض، وَتَأْمُلُ أنْ تنال صَفْحًا؟ وإذْ أنا نفسي سيِّدك آمرك ولستَ تسمع لي، **وأنت العبد** كيف تجرؤ أنْ تأتي وترفع الصلاة إليَّ أو تُقدِّم لي الذَّبائح والبُكُور، بينما يملأ الحقد قلبك على الآخرين؟ لأنَّهُ كما تُحوِّل أنت وجهك عن أخيك، هكذا سأُحوِّل أنا عينيَّ عن صلواتك وعن تقدماتك».

«المحبَّة» هي ما يطلبها الرَّبّ منَّا:

أعود فأسألكم يا إخوتي: طالما أنَّ الله محبَّة، وطالما أنَّ كل ما يُعمَل بدون محبة هو غير مَرضيٍّ للهِ، فكيف يقبل الله الصلوات والتقدمات والبُكُور وكافة الأعمال الصالحة التي يُقدِّمها القاتل، ما لم يُقدِّم توبةً كما ينبغي؟ ولكنك قد تقول: «أنا لستُ قاتلًا»، وسأُبين لك أنك كذلك، بل بالأحرى يوحنا اللاهوتي سيكشف لك هذا بأَجْلَى بيان حين يقول: «كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ» (١يو٣: ١٥).

سبيلنا إذن، أنَّهُ لا ينبغي أنْ نُقدِّم شيئًا على المحبة، أو نُفضِّل امتلاك أي شيء مهما كان، على امتلاك المحبة. فلا نترك شيئًا فينا ضِدّ أيِّ شخصٍ آخر أو نَرُدُّ الشرَّ بالشَّرِّ، كما ولا نَدَع الشَّمس تغرب على غيظنا؛ ولكن فلنصفح عن كلِّ ما يُساء إلينا به، ولنَعْلَم جيِّدًا أنَّ «الْمَحَبَّةَ تَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا» (١بط ٤: ٨).

لأنَّهُ أيُّ ربحٍ يكون لنا يا أولادي، لو أنَّنا نقتني كل الأشياء ونحيا بدون المحبة المُخلِّصة المُعطية الحياة؟ أَلا يكون ذلك كما لو أنك أعددتَ وليمةً عظيمة ودعوتَ إليها ملوكًا وعظماء ولم يَفُتْكَ إعداد كل ما يلزم للوليمة، ولكن لا يوجد هناك ملح! فهل يمكن لأيِّ شخص أن يتلذَّذ بالطعام على هذه الحال؟ بالطبع لا! وأعظم من ذلك هو ما يُصيبك من خسارة لهذا السَّبب، لأنك لستَ تخسر فقط تعبك والجهد الذي بذلته وحسب، بل زِدْ على ذلك الخجل الذي ينتابك أمام أولئك الذين دعوتهم. وهذا هو الحاصل هنا، لأنَّ كُلّ تعبك يصير باطلًا عديم النفع إنْ كنتَ عادم المحبة، التي بدونها كُلّ عمل صالح تعمله مهما كان، يبقى غير طاهر حتى ولو كان مَنْ يقوم به يَدَّعي الحياة البتوليَّة؛ حتى ولو كان يتوفَّر على الصوم أو سهر الليالي؛ حتى ولو كان يُؤوي الفقراء أو يُرَى مُقدِّمًا العطايا والبكور للهِ، أو يصنع أعمالًا صالحة؛ حتى ولو كان سيبني كنيسة أو أي عمل صالح آخر مِنْ أيِّ نوعٍ، وكان خاليًا مِنَ المحبة. فجميع هذه الأعمال تُحسَب له كَلا شيء أمام الله، لأنه بدون المحبة، ليس شيءٌ مرضيًّا أمام الرَّبِّ.

هاك ما يقوله الرسول (بولس) عن هذا الأمر: «إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ... وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ، وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ، وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَسْتُ شَيْئًا» (١كو١٣: ١-٢). لأنَّ كُلّ مَن يُربِّي العداوة في

قلبه نحو أخيه، ومع ذلك يُرَى مُقدِّمًا أَيَّةَ تقدمة لله، فهو يكون كمَن يذبح كلبًا أو يُقدِّم أُجرة زانية (إش ٦٦: ١؛ أم ٦: ٢٦).

فاحترس إذن، مِنْ أنْ تُقدِّم شيئًا لله خِلْوًا من المحبة طالما أنَّ المحبة تستر كثرة من الخطايا. يا لَلْعَجَبِ، كم مِنْ أمورٍ صالحة كثيرة نخسرها، وكم مِنْ بهجةٍ ومسرَّةٍ نُباعِد نفوسنا منها إذا كنَّا عديمي المحبة.

لقد احتقر **يهوذا** المحبة، وتَرَكَ صُحْبة الرُّسل، ورَفَضَ النور الحقيقي – سيِّده – كارهًا إخوته ومُقبلًا بذلك إلى **الظلمة**. وأيضًا يوحنا اللاهوتي يقول: «وَأَمَّا مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ فِي الظُّلْمَةِ، وَفِي الظُّلْمَةِ يَسْلُكُ، وَلاَ يَعْلَمُ أَيْنَ يَمْضِي، لأَنَّ الظُّلْمَةَ أَعْمَتْ عَيْنَيْهِ» (١يو٢: ١١).

محبَّة الله ومحبَّة القريب:

ألعلك تقول: إنَّني ولو أنِّي لا أحب قريبي إلاَّ أنَّني أحب الله؟ يوحنا اللاهوتي نفسه يكشف **كذبك**، حيث يقول: «إِنْ قَالَ أَحَدٌ: ''إِنِّي أُحِبُّ اللهَ'' وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ. لأَنَّ مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ الَّذِي لَمْ يُبْصِرْهُ؟» (١يو٤: ٢٠).

فالذي يحب قريبه ولا يحمل أي عداوة لأحدٍ، ثم يُحقِّق قول الرسول (بولس): «لاَ تَغْرُبِ الشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ» (أف٤: ٢٦)؛ هو الذي يحب الله بالحقيقة، وهو تلميذٌ حقيقيٌّ للمسيح الذي قال: «بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضاً لِبَعْضٍ» (يو ١٣: ٣٥).

وهكذا نرى، بكلِّ وضوح، أنَّهُ ليست وسيلة أخرى بها تعرفون أنَّكم تلاميذ المسيح سوى مُمارسة المحبة الحقيقيَّة. لأن مَن يكره أخاه ويظنُّ في نفسه أنَّهُ يحب المسيح، هو «**كاذب ويخدع نفسه**»؛ لأنَّ يوحنا الرسول يُخبرنا: «وَلَنَا هذِهِ الْوَصِيَّةُ مِنْهُ: أَنَّ مَنْ يُحِبُّ اللهَ يُحِبُّ أَخَاهُ أَيْضاً» (١يو٤: ٢١)؛ وأيضًا يقول الرَّبّ: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ... و... قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ» (مت ٢٢: ٣٧-٣٩). وحين أراد أن يُعرِّفنا بقوَّة هذه المحبة قال: «بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ» (مت ٢٢: ٤٠).

يا لهذا الأمر العجيب والمُذهل حقًّا! إنَّ كلَّ مَنْ كانت له محبة حقيقيَّة، فهو يُكمِّل الناموس كله: «فَالْمَحَبَّةُ هِيَ تَكْمِيلُ النَّامُوسِ» (رو١٣: ١٠).

فيا لعظمة اقتدار المحبة التي لا مثيل لها، فليس ثمة شيءٌ في السَّماء أو على الأرض يمكن أن يعلو على المحبة. ولهذا فإنَّ بولس الرسول، إذْ أدركَ أنَّهُ ليس أكثر كمالًا مِنَ المحبة، يُعلِّمنا قائلًا: «لاَ تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضاً» (رو٨: ١٣). لذلك ضَعُوا حياتكم مِنْ أجل بعضكم بعضًا، لأنَّ بهذه تقوم المحبة رأس كل الفضائل وملحها!

المحبة هي تكميل الناموس. المحبة خلاصٌ أكيد. فقد سكنت المحبة قلب هابيل منذ البدء، ومَلَكَت على قلب نوح. اكتسى بها الآباء البطاركة مثل الثوب. المحبة جعلت من داود مسكنًا للرّوح القُدُس. المحبة أقامت خيمة الشهادة وسط الأنبياء (لا ٢٦: ١١). المحبة هي التي عَضَدَتْ أيوب.

الحديث عمَّا هو أعظم!

ولماذا لا أتحدَّث عمَّا هو أعظم؟ فالمحبة هي التي اضطرت ابن الله أن يأتي إلينا من السَّماء. فالذي هو بغير جسد لَبِسَ جسدنا، والذي هو فوق الزمن خضع للزَّمن لأجلنا، الذي – وهو ابن الله – صار ابن الإنسان!

من خلال المحبة كل الأشياء تخدم خلاصنا. من خلال المحبة هُزِمَ الموت وانكسرت قوَّة الجحيم؛ أُعيد آدم للحياة، وحواء استردَّت الحرِّيَّة. من خلال محبة الله صار الاثنان واحدًا: الناس والملائكة. وبواسطة هذه المحبة بَطُلَت اللعنة، وانفتح الفردوس، واستُعلِنَت لنا الحياة، وبُشِّرنا بملكوت السموات.

المحبة حوَّلت صيَّادي السمك إلى صيَّادي الناس. إنَّها المحبة التي أَعطت الشُّهداء القوَّة والشجاعة في آلامهم، وهي التي جعلت في البراري مُدنًا للسَّكَن، وملأَت الجبال والمغاور بأنغام تسابيح المزامير الشَّجِيَّة. المحبة غيَّرت الناس إلى ملائكة. وهي التي علَّمت الرجال والنساء معًا أن يسلكوا الطريق الضيِّق.

فيا لَلْمحبةِ المُباركة التي وهبتنا كل ما هو صالح! يا لَلْمحبة المُباركة التي تجعل كل مَن يشتهيها مُباركًا أيضًا! مُباركٌ ومغبوطٌ جدًّا هو الإنسان الذي من قلبٍ طاهر وضميرٍ صالح يمتلك المحبة.

والآن حين تسمع عن هذه المحبة، احترس أنْ تفهمها بإحساسٍ أَرْضِيٍّ جسداني، كما يحدث في الأعياد والولائم مع أولئك الذين «إِلهُهُمْ بَطْنُهُمْ وَمَجْدُهُمْ فِي خِزْيِهِمِ» (في٣: ١٩)، الذين تنحصر محبتهم في أكلة يأكلونها على مائدة واحدة، **وحبهم إهانة لله**. هناك يدعون الأصدقاء، وليس الغرباء، حيث لا يوجد نصيبٌ للفقير...

لكنَّنا لسنا نتحدَّث عن هذه المحبة، لسنا نكرز بها ولا نمتدحها. لكنَّنا إنَّما نكرز بتلك المحبة التي بلا رياء، المحبة الفائقة الوصف التي بلا عيب ولا دنس ولا يُدركها أيُّ لومٍ. هذه المحبة، أقول إنَّها تحوي داخلها كل الأشياء ويحتويها كل عمل صالح كما علَّمنا إيَّاها ربنا قائلًا: «... أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ» (يو ١٥: ١٣). لأنَّ الرَّبَّ نفسه علَّم بذلك وفعله أيضًا، إذْ أسلم ذاته لأجلنا! ليس لأجل أحبَّائه فقط، بل ومن أجل أعدائه أيضًا: «لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ» (يو ٣: ١٦).

أمَّا بولس الرسول فقد التهب بهذه المحبة، وإذ اقتنى المحبة الإلهيَّة داخله أخبرنا أنَّ «الْمَحَبَّةُ لاَ تَصْنَعُ شَرًّا لِلْقَرِيبِ» (رو١٣: ١٠)، وأنَّ المحبة لا تجازي عن شرٍّ بشرٍّ، ولا تَردّ اللعنة باللعنة، لكنها تصبر ودائمًا تحتمل، ودائمًا تتأنَّى وترفق: «الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ... وَلاَ تَحْتَدُّ، وَلاَ تَظُنُّ السُّوءَ، وَلاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ، وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»، ومحبة مثل هذه «لا تَسْقُطُ أَبَداً» (١كو ١٣: ٤-٨).

كل مَن ارتبط بهذه المحبة فهو مُباركٌ، يحظَى بالبركة في هذه الحياة، ويصير مُباركًا في الدهر الآتي.

الظهور الإلهي

للقديس يوحنا الذهبي الفم

الظهور الإلهي

فصلٌ شريف من بشارة القديس متّى الإنجيلي البشير، التلميذ الطاهر (متّى ٣:١٣-١٧)

في ذلك الزمان أقبل يسوع من الجليل إلى الأردنّ إلى يوحنّا ليعتمد منه. فكان يوحنّا يمانعه قائلًا: أنا محتاج إلى أن أعتمد منك أَوَأَنت تأتي إليَّ؟ ✻ فأجابه يسوع قائلًا: دعِ الآن فهكذا ينبغي لنا أن نُتمّم كلّ بِرٍّ. حينئذٍ تركه ✻ فلمّا اعتمد يسوع صَعِدَ للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلًا مثل حمامة وحالًّا عليه ✻ وإذا صوتٌ من السماء قائلًا: هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت.

«حينئذ أقبل يسوع من الجليل إلى الأردن، إلى يوحنا ليعتمد منه» (متى ٣:١٣).

جاء السَّيد مع العبيد، القاضي مع المحكومِ عليهم، لكي يعتمد. مع ذلك، أقول لك لا تضطرب: فيما بين هؤلاء الوضعاء يَسْطَع سُمُوُّه. اقتبل أن يُحبل به في أحشاء العذراء لزمنٍ طويل، وأنْ يولد منها بجسد طبيعتنا البشريَّة، وأن يُضرَب وأن يُصلب، وأنْ يُكابد الآلام كلّها. إذًا، لماذا تتعجَّب إذْ تراه يقتبل المعموديّة ويأتي مع الآخرين مُتجهًا نحو عبدِه؟ المُذْهِلُ في الأمر هو الآتي: **يريد أن يصير إنسانًا بينما هو الله.** كُلّ شيءٍ آخر يتبعُ بصورةٍ منطقيَّة. لذلك بالضَّبط كان **يوحنا المعمدان** يقول مُسبقًا: « الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ.» (لو٣:١٦)، وغيرها، مثلًا: إنَّهُ القاضي وسوف يجازي كُل واحد حسب استحقاقه، وسوف يمنحُ **الرُّوح القُدُس** للجميع بغزارة. لذلك، عندما تراه آتيًا إلى المعمودية، لا يَقْرَبَنَّ فِكرك شَكُّ البساطة. لذلك، عندما اقترب **السَّيدُ** من **العبدِ**، مانعه هذا الأخير قائلا:

«أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!» (مت ٣:١٤).

معمودية يوحنا كانت للتَّوبة، وللحثِّ على الاعتراف بالخطايا. حتى لا يَظُنَّ الواحدُ أنَّ السَّيد يأتي مِنْ أجل كُلِّ ذلك، يستدرك **السَّابق** الأمر ويدعوه أوَّلًا «حمل الله»، ومخلِّص العالم من الخطيئة كلّها. طبعًا الذي بإمكانه أنْ يرفع خطيئة العالم كلّها، ينبغي له أنْ يكون بلا خطيئة. لم يقل: «هوذا الذي بلا خطيئة»، بل قال بالحريّ: «هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!» (يو١:٢٩). هذا لكي تتقبَّل كُلّ ما يجري أمامك. وإضافة إلى ذلك، أنْ تتحقَّق أنَّهُ يأتي إلى المعمودية لكي يُتَمِّم تدبيرًا آخر وأبعَد. لذلك عند اقتراب **السَّيد** من **يوحنا**، قال له هذا الأخير: أوأنت تطلب المعمودية؟ خَشِيَ أن يقول له ذلك. ماذا قال؟ «**أَوَأَنت تأتي إليَّ؟**».

ماذا **فعل يسوع؟** عَمِلَ كما سوف يعمل مع **بطرس**. كان هذا الأخير يمانعه أنْ يغسل رِجْلَيهِ، لكن عندما سمع الكلمات التالية: «لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ». (يو١٣:٧). وأيضًا: «إِنْ كُنْتُ لاَ أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ». (يو١٣:٨). عندما سَمِعَ **بطرس** كُلّ ذلك استسلم وبدَّل موقفه. كذلك **يوحنا المعمدان** عندما سمع قول السَّيِّد: « دعِ الآن فهكذا ينبغي لنا أن نُتمّم كلّ بِرٍّ.» (متى ٣:١٥).

عند ذلك أطاع للحالِ، لأنَّه مع **بطرس** لم يكونا معترضَين للنِّهاية، بل أظهرَا محبَّةً وطاعةً لكُلِّ ما كان يصدر عن السَّيِّد. لاحظْ كيف يتوجَّه السَّيِّدُ ليوحنا: لم يقل له: «هكذا يقتضي العدل أو البرّ» بل قال: «هكذا يليق بنا». كان **يوحنا** يعتبرُ نفسه غير مستحقٍّ لمثل هذا العمل، أي لاعتمادِ السَّيِّد من العبد، لذلك توجَّهَ إليه الرَّبُّ، وكأنَّهُ يريد أنْ يقول له: لنْ تهرب من ذلك ولن تُمانع كون الأمر غير لائق. دَع الآن الأمور تجري كما أُريد، وإضافةً إلى ذلك أقول: هكذا يَليقُ بنا أنْ نفعل.

لم يَقُل «دَع الأمر» وحسبُ، بل أضاف «الآن» لأنَّ الحدث لَنْ يطول. سوف تراني بالشَّكل الذي تَوَدّ. لكن الآن تقبَّل هذا التنازل.

وبعد ذلك يشرح لماذا يجري الأمر كذلك، لكي **يُتمِّم الناموس**

بكامله. يَظْهَرُ ذلك من خلال عبارته «كُلّ بِرٍّ». **البِرُّ هنا تتميم الوصايا**. لقد أتمَّ الوصايا الأُخرى كُلَّها. وبقيت هذه النُقطة الأخيرة. لذلك لا بُدَّ مِنْ تتميمها. لأنِّي جئتُ لكي أرفَعَ عنكُم اللعنة التي تلاحقكُم بعد **عصيان النّاموس**. لا بُدَّ لي أوَّلًا من أنْ أتمِّمَ الناموس بكامله، وبعد تحريركم من القضاء، ترتفع عنكم اللّعنة المكتوبة عليكُم بعد العصيان. ها إنِّي قد أخذت جسدكم وأتيتُ.

«حِينَئِذٍ تَرَكَهُ فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ» (مت ٣:١٦).

كان كثيرون يعتبرون **يوحنا** أهمّ من **المسيح**، لأنَّهُ عاش مُدَّةً طويلةً في البريَّة، وكان ابنَ رئيس كهنة، ويرتدي لباسًا تَقشُّفِيًّا خاصًّا، ويدعو الكُلّ إلى المعموديَّة، وقد وُلِدَ من عاقر. بينما **المسيح** أتى من فتاةٍ غير معروفة، ولم يكن مولِدُهُ البتوليّ معروفًا بعد، وقد نشأ في بيتٍ بسيطٍ، وكان يعاشِرُ الجميع، ويلبسُ اللّباس العامّ، لذلك كان يُعتبرُ أقلَّ من **يوحنا**. لم يكن الشَّعب بعد يعرف شيئًا عن ميزاته الفائقة الوصف. وجاءَ اعتماده على يد **يوحنا** داعمًا لهذا الاعتقادِ غير الصَّحيح. رأْوْهُ واحِدًا من كثيرين أتوا إلى المعموديَّة، وهو أكبرُ من **يوحنا** بكثير، وأعجبُ منه بكثير.

لذا لكي لا يسود هذا الاعتقاد عند الشعب، انفتحت السَّموات عند معموديته، ونزل **الرُّوح**، وسُمِع الصوت مع نزول **الرُّوح**.

«وَإِذَا صَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلًا: «هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (مت ٣:١٧).

الصَّوت وحده لم يكن كافيًا، إذ كان السَّامعون يظنّون قوله: «هذا هو» إشارة إلى المُعَمِّد لا المُعَمَّد، لذلك **نَزَلَ الرُّوح** بشكل حمامة، فَلَفَتَ الأنظار إلى **يسوع**، وبيَّن بوضوحٍ إشارة «هذا هو» إلى يسوع المُعْتَمِد (١)، لا إلى **يوحنا** المُعَمِّد.

١) لاحظ كيفَ يعتني **القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم** اعتناءً شديدًا بإظهار كونِ الشَّخص الرَّئيس في حدثِ المعموديَّة هو **المسيح** وليس **يوحنا المعمدان بنُ زخريًّا**، الذي كان الكثيرون يعتبرونه، خطأً، أَهم من المسيح. في ما يلي، سيؤكِّد على الفرق بين ظهورِ **الرّوح القُدس** بشكل حمامة، وظهور المسيح كإنسان.

عدم إيمان اليهود:

أيُعْقَل أنَّ كثيرين لم يُؤمنوا به بعد ذلك كلّه؟ نعم، ففي أيام **موسى** كانت تجري عجائبُ كثيرةٌ، ولئن اختلفت نوعًا عن هذه الأخيرة، ورُغم تلك العجائب، تلك الأصوات والأبواق والبروق، جلسوا وذبحوا **لبعل فاغور**. وهم أنفسهم كانوا حاضرين عند إقامة لعازر من الموت، ورأوا الميت قائمًا، ومع ذلك **لم يؤمنوا** به، لا بل كانوا يَسْعَوْنَ جاهدينَ لقتله. لقد رأوا بِأُمِّ أعينهم أمواتًا ينهضُون، ومع ذلك لم يُؤمنوا وبَقوا خُبثاء. إذًا، لماذا تتعجَّبُ الآن من كونهم لم يؤمنوا بالصَّوت الآتي من السَّماء؟ عندما **تكون النفس ناكرة للنعمة ملتوية**، مأخوذة **بمرض الحسد والغيرة**، لا تَرْتَدِع عن أي عملٍ شرِّيرٍ، وأيضًا **عندما تكون النفس شاكرة تقبل كل شيء بإيمان، ولا تحتاج إلى أية أعجوبة**.

لا تَقُل: لِمَ لَمْ يُؤمنوا، بل انْظُرْ إلى كُلّ ما قيلَ وَعُمِلَ لكي يُؤمن الجميع. لقد أَوْرَدَ الله الدفاع على لسان النبيّ. كُلّ ذلك جعلَ اليهودَ يهلكونَ بسببٍ منهم، وَيُسلِّمون أنفسَهُم إلى العقاب الأخير. لذا أراد الله أن يميِّز بين تدبيره الحسن وخبثِهم، بقوله: «مَاذَا يُصْنَعُ أَيْضًا لِكَرْمِي وَأَنَا لَمْ أَصْنَعْهُ لَهُ؟» (إش ٥:٤). كذلك، أي شيء يُصنع هنا لم يصنعهُ؟ وإنْ دخل أحدٌ في مناقشةٍ حول موضوع عناية الله، يمكننا أنْ نلجأ إلى الطريقةِ الدفاعيَّةِ السَّابقةِ ضِدَّ الذين كانوا يتّهمونه ظُلْمًا بدافِعِ شَرِّهم. أنظروا إذًا إلى العجائب الحاصلةِ الآن، التي تُنذِرُ بالحوادث المستقبلة. لم يَنفَتِحِ الفردوسُ، بل انفتحت السّموات. لندع هذا الموضوع جانبًا، ونتابع شرح النَّصّ.

«فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ،» (مت ٣: ١٦). لماذا انفتحت السَّماوات؟ لكي تَعْلَم أنتَ أيضًا أنَّهُ عندما تعتمد أنتَ يحصل الأمر نفسه: يدعوكَ الله إلى الوطن السَّماويّ، ويريدُ أنْ يُقنِعَكَ بعدم ارتباطِكَ بأيِّ شيءٍ على الأرض. آمِنْ ولو لم تَرَ. **فالظهورات الحسِّيَّة والعلامات السَّابقة للحوادث الروحيَّة العجيبة تكون من أجل الضعيفي الإيمان**، الذين هم بحاجةٍ إلى مثل هذه الظهورات المحسوسة، الذين لا يُعطُونَ أيَّ معنًى للطّبيعة اللامادِّيَّة، بل يُفتّشونَ دومًا عن الأمور المنظورة فقط. لذلك، عليك، ولو لم تَرَ بعد ذلك مثل تلك العلامات، أنْ تَقبَل بإيمان كُلّ ما جرى حتى الآن مِنَ البداية. لقد جرى مع الرُّسُل صوت ريحٍ عاصفةٍ، وظهرت ألسنةٌ ناريّة. هذا لم يحصل من أجلِ الرُّسُل، بل من أجل اليهود الحاضرين. ولكن، حتى وإنْ لم تَخْبُر بعد ذلك مثل هذه العلامات الحسِّيَّة أمامنا، علينا أنْ نقبل أنَّها جرت مرَّةً هكذا بالفعل. لأنَّه مِنْ أجل ذلك أيضًا ظهرت الحمامة، ودلَّت الحاضرين مع **يوحنا**، كما بإصبع اليدّ، إلى ابن الله، لكي تَعلَم أنتَ أيضًا أنَّ **الرُّوح القُدُس** ينزل عليك في وقت المعموديَّة.

لسنا بحاجة إلى علامات منظورة، بل يكفي أنْ يتوفَّر الإيمان عِوَضًا عنها. العلامات تَرِدُ لا مِنْ أجل المؤمنين بل **مِنْ أجل غير المُؤمنين**.

لماذا ظهر **الرُّوح القُدُس** بشكل حمامة؟ الحمامة طيرٌ أليفٌ طاهر. وبما أنَّ **الرُّوح القُدُس** هو روحُ وداعة، لذلك تراءى بشكل حمامة. ومن ناحية أخرى، هذا يذكِّرنا بقصَّةٍ تاريخيَّةٍ قديمة، عندما غَمرَ الطُّوفان كلّ المسكونة، وكاد الجنس البشريّ أنْ يفنى، كانت الحمامة الطَّائِرَ الذي بيَّن بوضوح **نهاية الغضب الإلهيّ**، حاملة في منقارِها غصن زيتون، كخبر مُفرح يُعلِنُ السَّلام العامّ. كُلّ ذلك كان رسمًا لما سيحدُث لاحِقًا. كانت حالة الناس أبشَعَ بكثير من حالتهم الحاضرة، وكانوا يستحقُّون عقابًا أكبر. فلكي لا تيأس أنت الآن، يذكِّرُكَ هنا بتلك الحادثة القديمة: حين كانَ الرَّجاء مفقودًا، وُجِدَ حَلٌّ

وإصلاح. كان الطُّوفان في ذلك الوقت تأديبًا، وأمَّا الآن فقد جاء الحلّ عن طريق النعمة والعطِيَّة الجزيلة. لذلك ظهرت الحمامة، لا تحمِلُ غُصْنَ زيتون، ولكنَّها تشير إلى الذي سَيُخَلِّص مِنْ كُلِّ الشَّدائد، وتَبسُطُ أمامنا رَجَواتٍ صالحة، لأنَّها لا تُخرج إنسانًا من الفُلْكِ (فُلك نوح)، بل تقودُ بِظهورِهِ المسكونة كُلَّها إلى السَّماء. لا تَحمِلُ غُصْنَ زيتون، بل البُنُوَّة للبشر كلهم. ﴿البُنُوَّة:«وبما أنكم أبناءٌ أرسَل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخًا يا ابَّا الآبُ ، فلستَ بعدُ عبدًا بل أنتَ ابنٌ. وإذا كنت ابنًا فأنتَ وارثٌ لله بيسوع المسيح.» (غلا٤:٦-٧).﴾

الآن، وقد أدْرَكْتَ قيمة العطيَّة، لا تَحسَبْ أنَّ قيمةَ الرُّوح ناقِصةٌ، بسبب ظهوره بشكل حمامة. أَسْمَعُ البعضَ (٢) يقول إنَّهُ كما يختلف الإنسانُ عن الحمامة كذلك يختلف المسيحُ عن الرُّوح، إذ ظهر المسيح بصورة طبيعتنا الإنسانيَّة، بينما ظهر الرُّوح القُدُس بصورةِ حمامة. فَبِمَ نُجيبُ عن كُلِّ ذلك؟ إنَّ ابن الله اتَّخَذَ طبيعة الإنسان، بينما الرُّوح القُدُس لم يأخذ طبيعةَ الحمامة. لذلك لم يَقُل الإنجيليّ أن الرُّوح ظهر «بطبيعة حمامة»، بل قال «بشكلِ حمامة». ولم يظهر الرُّوح بعد ذلك بهذا الشَّكل، بل هنا فقط. فإن اعتمدتَ على هذه المقارنة، وحسبْتَ أنَّ شَأنَّ الرُّوح قد صَغُرَ لهذا السَّبب، فسوف تجدُ الشاروبيم أسمى من الرُّوح بكثير، كسُمُوّ النِّسر على الحمامة، لأنَّ الشاروبيم ظهرت بشكل نَسْرٍ. كذلك تَجدُ الملائكة أعلى بكثير، لأنَّهم يَظهرونَ بشكل بَشَر. لكنْ، طبعًا كُلُّ ذلك غَيرُ صحيح. الحقيقةُ شيءٌ والتدبير شَيء. التَّنازُلُ شيءٌ، والظُّهورُ العابرُ شيءٌ آخر (٣).

لا تكن إذن ناكر الجميل نحو المُحسن، ولا تَنْسُب عكس ما يجب أنْ تُؤدِّيه إلى الذي وهبك يَنبوعَ الغِبطة. حيث تُكرَّم البُنُوَّة، يضمحِلّ الشَّرّ، وتُمنَحُ الصالحاتِ كُلّها. لذلك بالضّبط ينتهي دور المعمودِيَّة اليهودِيَّة وتبتدىء معموديّتنا. ويجري في المعمودِيَّة ما يجري في الفصح. ينتهي دور الواحد ويبتدئُ دورُ الآخر. هنا أيضًا، بعد إتمام المعمودِيَّة اليهودِيَّة تنفتحُ أبواب معمودِيَّة الكنيسة. ما يجري على المائدة يجري الآن على النَّهر.

يؤكِّد على الظِّل، ولكنَّه يضيفُ الحقيقة، لأنَّ نعمة الرُّوح القُدُس كائنة في معمودِيَّة يسوع المسيح فقط، ، بينما معموديّة يوحنا لا تَتضمَّنُ مِثْلَ هذه العَطِيَّة. ولذلك لم يحصل للمُعمَّدين الآخرين ما حصل للرَّبِّ يسوع المسيح، لأنه هو من سيُعطي هذه الموهبة.

وإلى جانب كُلِّ ما ذكرناه حتى الآن، اعْلَمْ ما يلي: ليست طهارة المعمودِيَّة هي التي حقَّقت مثل هذه العطيَّة، بل قوَّة ذاك الذي يَعتمِد (المسيح). إذْ ذاك فُتِحَت السَّموات، ونزل الرُّوح عليه. إنَّهُ يُخرِجُنا من حياتنا القديمة إلى حياةٍ جديدة، فاتحًا من أجلنا أبوابَ السَّماء، ومُرْسِلًا من هناك الرُّوح الذي يَدعونا إلى موطِننا هناك. لا يدعونا فقط بل يكرمنا إكرامًا فائقًا. لأنَّهُ لم يجعلنا ملائكةً ورؤساء ملائكةٍ، بل أظهرنا أبناء الله وأحباءَهُ، وهكذا جذبنا إلى الميراث الذي هناك (٤) ...

---

٢) يقصد هنا مُحاربي الرُّوح القُدس، وهي بدعةٌ ظهرتْ في القرن الرَّابع، تُشَكِّك بِأُلوهيَّةِ الرُّوح القُدس. الآريوسيّون يُعتبرون سابقين مُهيِّئين لهذه البدعة. أهَمُّ محاربي الرّوح القُدس ظهروا سنة ٣٧٢، وانضَمَّ إليهم جماعة المُشَبِّهين وجماعةُ التّشابه في الجوهر. على رأسهم أُسقف سبسطيّة «إفماثيوس».

٣) ظهرت الشّاروبيم بأجنحَةِ نسرٍ مع ستَّة أجنحة، حولَ عرش ملكِ الكُلّ، كما يقول إفشين القداس الإلهيّ.

٤) بعد ذلك ينتقل القديس يوحنا الذهبيّ الفم إلى عظةٍ طويلة، حاثًّا المسيحيِّين على عدم الارتباط بالعالميّات، بل تذَكُّر رسالتهم السَّماويَّة.

القديس هيلاريون الغزاوي

سُئل الأنبا هيلاريون: «كيف يمكن لأخٍ مُجتهد ألَّا ينزعج عندما يرى رُهبانًا آخرين يرجعون إلى العالم»؟

فقال الشيخ: «دعني أسرُدُ عليك قصة، تصوَّر كلاب الصَّيد وهي تطارد الأرانب الوحشِيَّة، يرى أحد الكلاب أرنبًا عن بُعد وحالًا يطارده، في حين أنَّ بقيَّة الكلاب التي معه تراه منطلقًا نحو هدف ما، فتجري هي الأخرى خلفه، بالرَّغم مِنْ أنَّها لم تَرَ الأرنب. وتظل تجري معه لكن فقط لمدَّة معينة، وذلك عندما تُنهكها المحاولة والجهاد، فتتوقف عن المطاردة وترجع للخلف.

في حين يستمر الكلب الذي يبصر الأرنب في المطاردة وحده، ولا يسمح لأي شيء بأنْ يعوقه في طريقه ومساره الطويل، ويصارع لكي يتقدَّم، ويخاطر بحياته بلا كلل دون أنْ يُعطي لنفسه أيّ راحة. ولا يسمح لنفسه بالتوقف عن الجري بسبب الكلاب الأخرى التي تخلَّفت قبله، ولكنه يجري حتى يلحق بالهدف الذي يراه ويقبض على الأرنب، وهو لا يهتم بالحجارة التي تعترض طريقه ولا بالأغصان الشائكة التي يعبر عليها، ولا حتى يهتم بالجروح التي تصيبه مِنْ جراء ذلك.

هكذا أيضًا الأخ الذي يرغب أنْ يتبع حُبّ المسيح، فيجب عليه أن يُثَبِّت نظره نحو الصليب، حتى يلحق ويُمسك بذاك الذي صُلِبَ عليه، حتى ولو رأى جميع الآخرين قد بدأوا بالرجوع إلى الخلفِ».

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

الفصل الواحد والعشرون

تتمة من العدد السابق.

ألَّفَت له الأبيات والاناشيد التي لا تجرؤ أنْ تسميها شعرًا. إلَّا أنَّ الرَّبَّ الكليّ القُدرة والحكمة يتقبلها كرائحة البخور، وكانت هذه التقدمة المتواضعة بالنسبة إليه بمثابة كنزٍ لا يُثَمَّن.

هكذا كانت النُّسوة الطيّبات عنده كشقيقاته، أو كأميرات أرسلتهنَّ إليه السَّماء؛ والويل له اذا ازدرى بثقتهنَّ المتواضعة ومطلبهنَّ الصادق. لا، إنَّهُ لن يتركهنَّ، بل سيُزَوِّدَهُنَّ بالشَّجاعةِ ويُساعِدَهُنَّ بكلِّ قُوَّتِهِ. وسوفَ يعمل على تحقيق حُلمه القديم بمُساعدتهنَّ في تأسيسِ ديرٍ للعذارى.

وبالطبع فقد كان يَضع كُلّ قرار سرّي يتّخذه، وكُلّ فكرة تُراوده حول عمله وحياته، في صلواته المتواصلة وحواره الذي لا ينقطع مع عالمه الداخلي. وقد شَغَلَ هذا الموضوع مكانًا أكثر مِنْ غيره. ومرَّت ليالٍ كثيرة، وكانت جميع الدلائل تُبَشِّر بالخير في مجال تحقيق هذا الحلم القديم.

لقد وصلت كريزَنتيا وكاترينا احد الأيام وبَشَّرتاه بأنهما اختارتا جزيرة إيچينا. وأخبَرتاه بفرحٍ انَّهما وجدتا أخيرًا المكان المناسب لتحقيق هدفهما بعيدًا عن ضجيج العالم، لتستطيعا عبادة المحبوب في الصَّمت والوحدة. وكان هذا المكان في جزيرة إيچينا، وعلى بُعد ستة كيلومترات ونصف من المدينة. وهو دير قديم ومهجور يُدعَى: «**النبع المُحيي**». وقد أشارت به عليهنَّ سيِّدة من جزيرة إيچينا ترغب هي الأُخرى باعتناق الحياة الرَّهبانيَّة.

وفيما بعد أخبرت الفتاتان **نكتاريوس** بأنَّهما وصلتا إلى هذا الدير القديم المُهَدَّم بعد السير في دروب وعرة وصخريَّة لا يسلكها إلَّا الماعز. وعند الوصول تنفَّست كاترينا بعمق وقالت:

– «هذا المكان ينتمي إلى السَّماء».

لاحظ **نكتاريوس** بأنَّ كاترينا تتمتَّع بموهبة البصيرة، فهي تنطق أحيانًا بعبارات مُلهمة وعميقة المعاني. ولكنه لم يَكُن يُعَلِّق على الأمر في البدء، ولم يَكن ينتبه إليه. وعندما سَمِعَ هذه الجملة لم يُحَرِّك ساكنًا، وكأنَّه لم يسمع شيئًا. فقد كان يهتم كثيرًا بتأمين سلامة الفتيات حتى يسمح لهنَّ بالسكن في مكان صخري وَمُقفِر يمكن أن يتعرضنَ فيه لهجمات اللصوص أو الأشرار من كلِّ نوع. فطلبَ منهنَّ العودة إلى ذلك المكان لجمع المزيد من المعلومات حوله والتعرُّف إلى المنطقة بشكلٍ كامل. فذهبن بالباخرة التي تؤمِّن رحلات منتظمة، وعُدنَ إليهِ وقد ازدَدنَ حماسًا على حماس.

بعد ذلك فإنَّ **مختار الجزيرة، المدعو دكتور بيباس**، دعا **نكتاريوس** للزيارة، وأبدَى له رغبته العارمة في إعادة ترميم الدير القديم. وكان هو أيضًا يبتغي تقديم مساعدته لهم على طريقته: فقد عرَضَ أن يُقَدِّم الأرض والأنقاض مجانًا.

وعندها وَجَدَ **نكتاريوس** نفسه مُضْطَرًّا للتصَرُّف، وللقيام بهذه الرحلة للتعرّف إلى الجزيرة التي كانت خاضعة للاحتلال التركي ثمَّ تحرَّرت، وتألَّفت فيها حكومة **الشهيد كابوديستريا، رئيس وزرائها**.

ولم يَكُن يكفي أنْ يُصَمِّم على الذهاب !

ففي ذلك الوقت كان أيضًا مريضًا، وقد عانَى مِنَ الصُّداع والدُّوار لمدة خمسة عشر يومًا ... وكان يشعر بالتَّعب والإنهاك، ويمضي جارًّا قدميه لإعطاء الدروس. وقد أتعبه كثيرًا العمل الذي كان يقوم به مكان الكنَّاس، رغم أنَّ روحه كانت تبتهج لأنَّهُ اعتبره فرضًا واجبًا عليه.

فقد أُصيبَ الكنَّاس في أحد الأيام بمرضٍ في كِلْيَتَيْهِ. وقد أحَسَّ بأَلَمٍ حادّ بينما كان يؤدِّي عمله في المدرسة. فَنُقِلَ في الحال إلى المستشفى المقابل حيث خضع لعمليَّة خطيرة ومؤلمة. واضطُّر للانقطاع عن العمل لمدة شهرين ونصف. وكان **نكتاريوس** يعرف أنَّ بعضًا مِنْ عمَّال المدرسة يحسدونه على وظيفته، فلم يطلب منهم المساعدة.

وكان الكنَّاس يقطن في **باغراتي** الواقعة على بُعد نصف ساعة من المسير. وأصاب **نكتاريوس** الحُزن لأجله، وفكَّر أنَّ الفقير يتحمَّل الكثير مِنْ شَظَفِ العيش.

وماذا كان عليه أنْ يفعل؟ لقد قرَّرَ أنْ ينهض كُلّ يوم عند الفجر لِيُكَنِّس المدرسة بنفسِهِ، إلى جانب ما كان يقوم بِهِ مِنْ تنظيف المراحيض التي كان ينساها العمَّال. وكان يجد أنَّها طريقة نُسكيَّة رهبانيَّة، وإحدى المهام الضروريَّة جدًّا عند الرَّاهب. فبالنسبة إلى الرَّاهب الأرثوذكسي ليس هناك مِنْ عملٍ مُهين أو مُحتقر مِنْ بين كُلّ الأعمال اليوميَّة التي يقوم بها الكهنة العاديُّون لكسب عيشهم. وقد أفضَى إلى أمين السِّرّ بأنَّه أعطى وظيفة الكنَّاس لعامل مؤقَّت يثق بِهِ. بينما كان الكنَّاس **لوسيان** قَلِقًا جدًّا على وظيفته، ومغتمًّا لخوفه مِنَ الطَّرد، لأنَّهُ قد تَوَظَّف منذ مدَّة قصيرة. فقد كان يَصعُب أنْ يَجِد المرء عملًا في تلك الأيام. ولم يَكُن العامل يستفيد مِنَ الضمان الاجتماعي، ولا ينتمي إلى نقابة. وكان الإنسان العاطل عن العمل يُعاني من الجوع ويتعرَّض أحيانًا للموت. (يتبع)

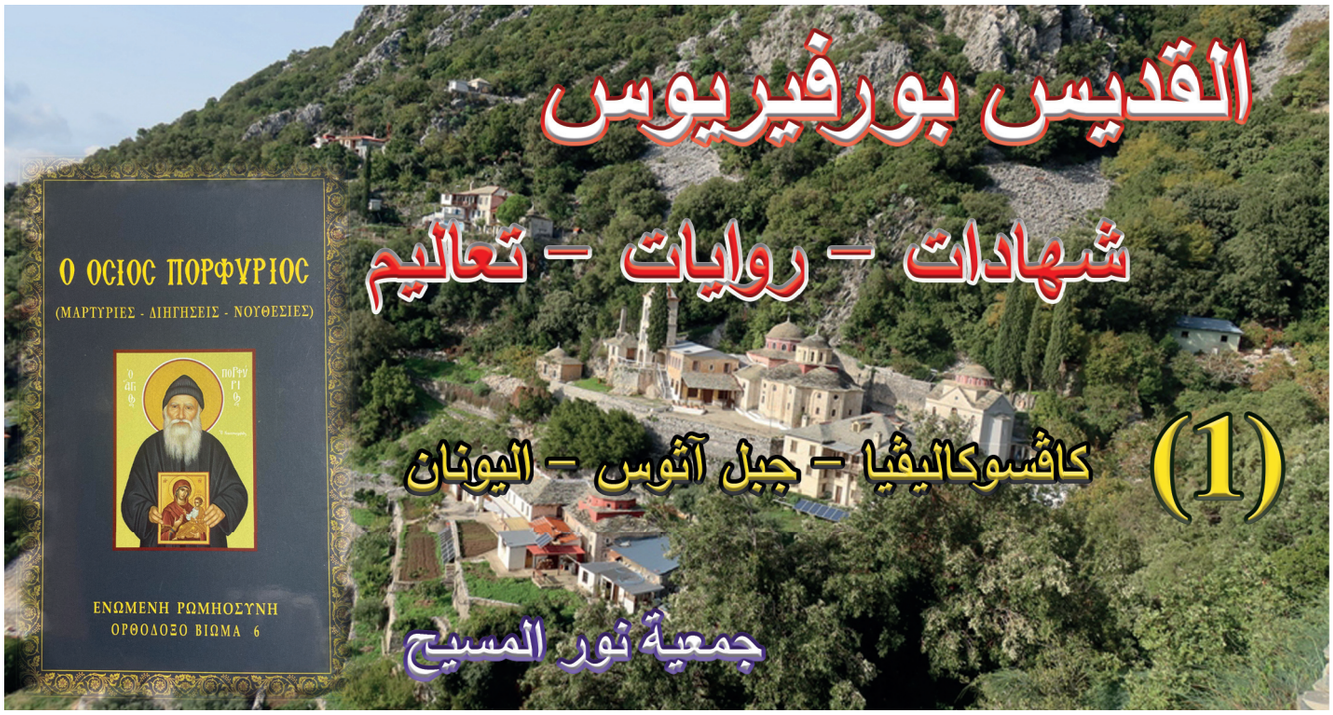

مقدّمة:

«عَلِمْتُ أَنَّكَ رَجُلُ اللهِ، وَأَنَّ كَلاَمَ الرَّبِّ فِي فَمِكَ حَقٌّ» (أخبار الملوك الثالث١٧: ٢٤).

إنَّ القديسين بحياتهم المماثلة للسيِّد **المسيح** وبعجائبهم فائقة الطبيعة يمثّلون وَحْيًا إلٰهيًّا في العالم. وقدّيسٌ كهؤلاء، عالمٌ بالإلهيات ومظهر للوحي هو البارُّ المعاصر لنا **بورفيريوس الذي من كافسوكاليفيا** (١). ترَكَ العالمَ عندما كان في عمر اثني عشر عامًا مُقادًا بلهيب العشقِ الإلهيّ وذهبَ إلى **الجبل المقدَّس**. كانتْ بعض سنين جهاد الطاعة والتقشّف، كافيةً ليحصلَ على نعمة الله، وقد دبَّرَ الله بحكمته أنْ يخرجَ مُجدَّدًا إلى العالم «**لخلاص نفوسٍ ضالةٍ**».

إنّ ما جعلَ **البارّ بورفيريوس قِدِّيسًا** هو طاعته التّامة والسَّعيدة لشيوخِهِ (رؤساء الرهبان)، وأيضًا مطالعتُهُ اليقظة- بمحبة ورغبة غير مهزومة- للكتاب المقدّس والكتب الليتورجية. من خلال طاعته، صلواته، مطالعتِهِ للكلام الإلهيّ حصلَ على «عقلِ المسيح»، كما يؤكّد بولس الرسول: «... إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ.» (أف ٤: ١٣). وأصبحَ متوشّحًا **باللهِ** وممتلئًا من **الرُّوحِ القُدُس**. كان يفكّر ويقول ويعملُ ويردّ مُوَجَّهًا من **الرُّوح القُدُس**، كما كان يؤكّدُ هو ذاته: «**ما أقولهُ لكَ ليس مني، بل يقولُه لكَ الرُّوح القُدُس، هل تفهم هذا؟**». حقًا «تَكَلَّمَ رُوحُ اللهِ فيه وكَلمةِ الله على لِسَانِهِ». (أخبار الملوك الثاني ٢٣: ٢).

حصلَ **البارّ بورفيريوس** على فضائل كثيرةٍ من **اللهِ**، «لكنّ الفضائلَ لا يُجدينَ نفعًا بغياب المحبة الصادقة، والالتزام والسلوك حسب التعاليم والوصايا الإلٰهيَّة.»، كما يقول **القديس يوحنّا الذهبي الفم** (PG 61,276). لقدَ ظهرَ **القديس بورفيريوس** حاملًا للنِّعمَةِ لأنّه امتلكَ حياة مُقدّسة وشريفة، وأيضًا محبة مماثلة للمحبة الإلٰهيَّة.

كانتْ حياته عبارة عن تضحية باذلة، مقرونة بالوداعة والتواضع، وخدمة متفانية نحو كُلّ انسان. وكأبٍ روحيّ خلّصَ الكثيرين بسرّ الاعتراف، حيث أَوضَحَ لهم المعبر والطريقَ الحقيقيّ ، وباب الفردوس من خلال التوبة الصادقة، التي هي الدَّرْبُ الآمن الوحيد للخلاص. فانقذَ الكثيرين مِنَ المشوشين والمسلوبين **بخداعات الديانات الشرقية المنحرفة وبالأسحار والهرطقات**؛ مُظهرًا لهم بطريقته الفاضلة قُوة إيماننا وكنز كنيستنا، **كنيسة الرُّوم الأرثوذكس حاملة الإيمان القويم الفريد**.

أصبحَ **البارّ بورفيريوس** تعزية للمرضى، الذين خدمَهم ككاهنٍ مناوبٍ لمدة ٣٥ عامًا. كذلكَ أمسى ملجأً للموجوعين، وعونًا ومُرشدًا للنساء العاقرات. كان يشفي المرضى بصلاته، وبَرَكتِهِ الكهنوتيَّة، بعدَ أنْ ساعدهم بكلامه على أنْ يؤمنوا، أنْ يعترفوا، أنْ يتعلّموا الصلاة، وأنْ يتناولوا جسدَ ودم السَّيد **المسيح** المُؤَلِّهَيْنِ.

عاشَ ببساطةٍ شديدةٍ وفقْرٍ طالبًا الخفاء ومانحًا للذين حوله نعمة **الله**. كان متّحدًا مع **الله** ويصلي في كلّ وقتٍ، لذلكَ لم يمنعْهُ أي مكان -خاصة حيّ أمونيا، في أثينا، مركز العاصمة اليونانيَّة الصاخبة، المكان الذي خدمَ فيه- أنْ يصبحَ **قِدِّيسًا** ويساعدَ الناس ويعترفَ **باللهِ**، حيث كان يقول: «**نحن الذين في أمونيا اعترفنا...**».

كان **للقديسِ** فضائل كثيرة، لكنْ بشكلٍ خاصٍ، كانتْ فضيلة النبوّة والرؤية واضحةً جليّةً فيه. كانَ عبارة عن حالة نادرة لنبيّ نعمةٍ جديدةٍ، خاصةً في زمننا الخبيث، آخر الأزمنة. من الصعْبِ أنْ توجدَ حالة مثله بين سِيَرِ **القديسين**. فقد تبارى وفي كثير من الحالات تجاوزَ **أنبياء العهد القديم**، حسْبَ ما سيظهرُ في الشهادات التي سَتَتلو. **فللقديس بورفيريوس**، كان كلٌ من الماضي والحاضر والمستقبل معلومًا لديه، كذلك نفْس كلّ إنسان. كان يُظهرُ لزائريه اسمهم ومشكلتهم واصفًا لهم منزلهم وكاشفًا لهم عن التطورات المستقبلية لمشكلتهم.

كان يعاينُ ويصِفُ أناسًا غائبين ومناطقَ بعيدةً وأحداثًا مستقبليَّة بدقّةٍ وتفاصيل كأنّه يشاهدها في التلفاز. فقد كان يملكُ تلفازه الملوَّنَ الخاص به، أي فضيلة الرُّؤيا. كان يشاهدُ بفضيلته ما تحتَ سطح الأرض بدقّةٍ عجيبة، حيث توجدُ كنائس مهدّمةٌ، رفات شريفة، قبور عتيقة، معابد وثنية. وبسهولة كبيرة كان يرى أين يوجدُ ماءٌ في قاع الأرض، وعلى أي عمقٍ، وكان يذوق بنعمة الله مياهًا جوفيَّة. كانَ يتحدّثُ عن أزمانٍ تسبقُهُ بقرون ويعيش أحداثًا حصلَتْ قبلَ آلاف السنين. كان يقوم بفحوصات طبيّة لأشخاصٍ يظهرون بصحةٍ جيدةٍ، بدقة أكبر مما للأطباء والآلات، كما كان يُجري فحوصات لأناسٍ لم يقابلهم ويوجدون في آخر بقاع الأرض.

لقد حافظَ على فضيلته الفريدة والعظيمة هذه واستخدمها حتى نهاية حياته من أجل خلاص البشر. فكحياة كاملة، هي خمسةٌ وستون عامًا من الخدمة حسَب الفضيلة، جعلَتْ ذِكْرَ **القديس** عظيمًا. لدينا آلاف الشهادات الصادقة لأناسٍ عرفتْهُ، وساعدهم وشهدوا لفضيلته. لقد كُتِبَ الكثير، ولكنْ ربما بقي الجزء الأكبر مجهولًا: «وَهُنَاكَ خَفَايَا كَثِيرَةٌ أَعْظَمُ مِنْ هذِهِ؛ فَإِنَّ الَّذِي رَأَيْنَاهُ مِنْ أَعْمَالِهِ هُوَ الْقَلِيلُ» (حكمة يشوع بن سيراخ٤٣: ٣٢). وكما كان يقول هو ذاته: «**بنعمة الله أرى الكثير، الكثير الكثير حقًا، وأعلمُ أنّها كلّها حقيقيّة، لكنّي لا أتكلمُ.**».

وعندما كان في آخر أيامه ضريرًا «ونصف ميتٍ»، مُلقًى على السرير بسبب الأمراض التي أصابته، وأيضًا حياة الشيخوخة، لم يتوقّفْ عن مساعدة زواره الموجوعين، ومدّ يد العون لهم، بإسدَائِهِ النصائح والارشادات والتعاليم القويمة. **هذا الضرير** كان ينير المبصرين، **والمريض** يعزّي الأصحّاء، **والعجوز الضعيف** يُعطي الأمل والقوّة للأقوياء. في كثير من الأحيان، لم يقوَ على الكلام، وكان يبكي؛ فقط لأنّ **القديس** كان يتوجّع بشكلٍ مضاعفٍ: أولًا بمشاركته في وجعِ الناس، ثم رغم علْمه بمشكلتهم وقدْرته على المساعدة، كانَ مرضه يمنعه من ذلك أو أنْ يحدّ مِنْ قدرته أنْ يزيدهم عطاءً.

كلّ محتويات الكتاب الذي في أيديكم هو عبارة عن شهادات أولاده الرُّوحانيين، وآباءٍ آخرين ورهبان وعلماء وأرباب عائلات، مِنَ الذين حصلوا على البركة لمقابلته والحديث معه. إنّ محاوراتهم بسيطة، تلقائية، صريحة، قلبيّة، ممتلئة مِنَ التقدير والتبجيل والتأثّر **بقديس عصرنا الكبير، النبيّ المعاصر البارّ بورفيريوس**. وتظهرُ مِنْ خلال هذه الشهادات زوايا مجهولة لحياته المقدَّسة ولفضائله.

بعض رواياته أخذَتْ عن شرائط مسجّلة (كاسيت)، كذلكَ عن شهادات معارفٍ له. ومِنْ شرائط مسجّلة أيضًا، أُخِذَتْ تعاليم مجهولة **للبارّ**، مفيدة للجميع، تعليميَّة وخلاصِيَّة. خلال **حياة القديس بورفيريوس**، كان يبني الكنيسة بفضيلة النبوّة التي امتلكها كعطيَّة **إلهيَّة**، كما يقول **الرسول بولس**: « وَأَمَّا مَنْ يَتَنَبَّأُ فَيَبْنِي الْكَنِيسَةَ.» (كورنثوس الأولى١٤: ٤). هكذا أيضًا، عندما تُنْشرُ أعماله العجائبيَّة، يبني مُجَدَّدًا ويقود كلّ الكنيسة، «لِيَتَعَلَّمَ الْجَمِيعُ وَيَتَعَزَّى الْجَمِيعُ.» (كورنثوس الأولى١٤: ٣١).

الشكر الجزيل لشهود كلامه المذكورين في هذا العمل المتواضع. ليهبهم **القديس بورفيريوس** بركته كما لقارئي هذا الكتاب وليتشفّع من أجل الكلّ لنماثله في محبته **للهِ** ونتّبعَ حياته كمثالٍ لنا. آمين.

---

١) منسكٌ مهمٌ من مناسك الجبل المقدّس، يتبع لدير اللافرا الكبرى.

٢) يطلقُ هذا المصطلح على الهندِيَّة والبوذِيَّة وكل ديانات شرق آسية بشكلٍ عامٍ. كانتْ هذه الديانات **صَيْحَةً ورواجًا** في عصر القديس، وقد ساعدَ الكثيرين على فهْم مقدار انحرافها.

من أقوال القديس بورفيريوس الرّائي

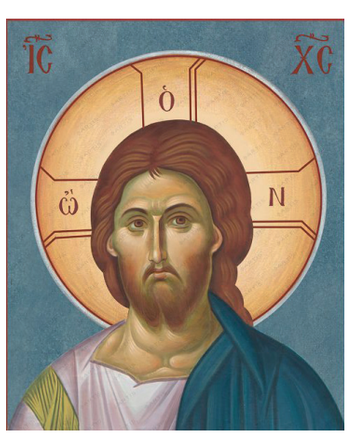

❊ جَابِهِ كُلَّ الأمور بمحبَّةٍ، بطيبَةٍ، بوداعَةٍ، بصبرٍ وتواضعٍ. كُنْ دومًا كالصَّخرِ الذي يَمرّ فوقه الموج ثمّ يعود ثانية من حيث أتى. كُنْ ثابتًا غير متزعزع. قد تتساءل هل هذا ممكن يا أبانا؟! نعم بنعمة الله هذا ممكن. أمَّا إذا جابهنا الأمور بقوانا البشريَّة، طبعًا سيكون هذا غير ممكن.

❊ لا تتّخذ موقفًا معاديًا ضدّ من يجدّف على الله. أَبغِض أقوالهم وأفعالهم. وأمَّا هم فأحبّهم كبشر ضُعفاء وصلِّ من أجلهِم.

❊ أَحْبِبِ الجميع وخاصَّةً أولئك الذين يُسبِّبون لك المتاعب. أظهِرْ لهم المحبَّة بكلّ بساطة دون أنْ يشعروا بأنّك تتغصّب لِتُحبَّهم أو لتتحمَّلهم.

❊ التَّذمُّر على الآخرين يؤذي نفسك بالدرجة الأولى، لأنَّه لا يدعك تُصلِّي بارتياح. والرُّوح القُدُس لا يقترب أبدًا من نفسٍ مُتذمِّرَةٍ ولا يَسْكُنُ فيها.

❊ أيُّها المسيح أنتَ حُبِّي. أنا لا أفكّر بالموت. أنا أودّ أن أفكّر فقط بالمسيح. افتحوا أيديكم وارتموا في أحضان المسيح، وعندئذ سوف يحيا هو داخلكم. ازدروا الأهواء ولا تهتمّوا للشيطان. التفتوا فقط نحو المسيح. ولكي يتمّ هذا اطلبوا أوّلًا نعمته.

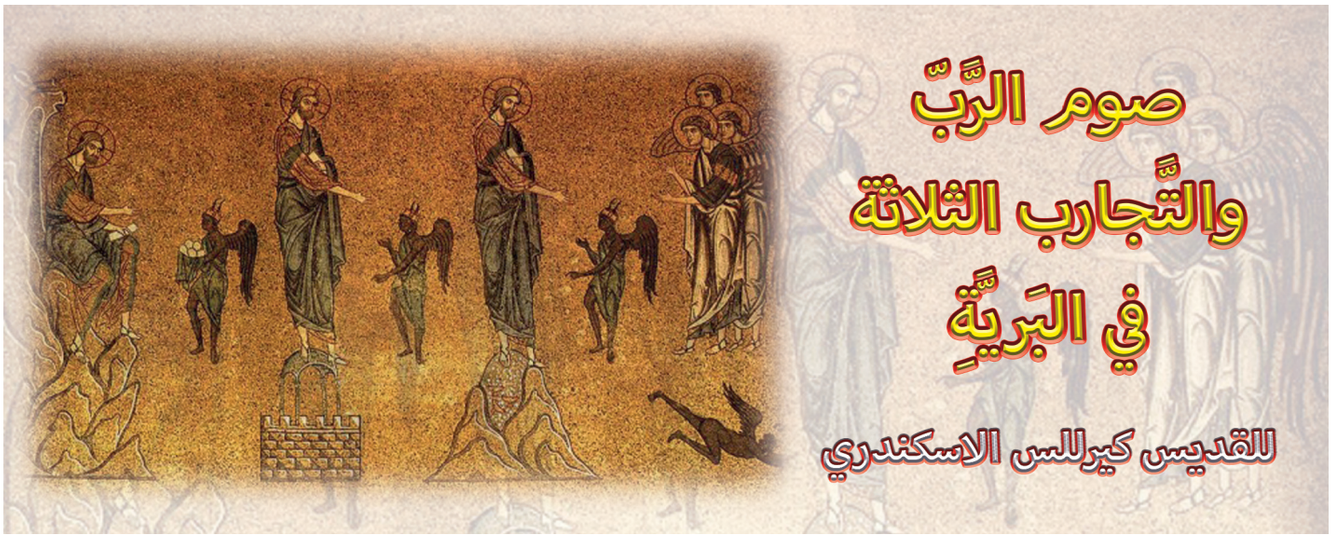

صوم الرَّبّ والتَّجارب الثلاثة في البَريَّة

للقديس كيرللس الاسكندري

❋ (الآيات المقتبسة من العهد القديم مُترجمة عن النَّصّ).

❋ **«أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الأُرْدُنِّ مُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَكَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ. أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُجَرَّبُ مِنْ إِبْلِيسَ. وَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَلَمَّا تَمَّتْ جَاعَ أَخِيرًا.» (لو٤: ١-٢).**

الأنبياء المطوَّبون عندما يتكلَّمون عن **الابن الوحيد كلمة الله** – ذاك الذي هو مساوٍ مع **الآب** في المجد، والشَّريك في عرشه، والكامل في البهاء مثله تمامًا – يحملوننا على الاقتناع أنَّهُ استُعلِن كمخلِّص ومنقذ لأولئك الذين على الأرض، بقولهم: «قُمْ أيُّها الرَّبُّ وأعِنَّا» (مز٤٣: ٢٦). فقام وأعان، آخذًا صورة عبدٍ وصائرًا في هيئة البَشَر، بأنْ جعل نفسه كواحدٍ منَّا، وأقام نفسه منتقمًا من أجلنا في مواجهة **الأفعوان المتمرد القاتل، الذي جلب الخطيّة** علينا، وجعل الفساد والموت يملكان على الساكنين على الأرض. لذلك فإنَّهُ سَيُمَكِّنُنَا **بالمسيح** وفيه أنْ نفوز بالنُّصْرَة مِنْ حيث انْهزمنا وسقطنا في **آدم**.

في تجربة المسيح على الجبل فُزنا بالنصرة على الشيطان:

فهلموا بنا نسبِّح **الرَّبَّ** ونُهلِّل مرنِّمين لله على خلاصنا. فَلْنَطأ **الحيَّة، الشيطان**، رافعين أصواتنا بهتاف النصرة عليه، لأنَّهُ الآن قد طُرِحَ وسقط.

لنتهلل الآن فرحين لأنَّ **الثعبان الماكر** قد أُوْقِعَ به في شرك لا سبيل إلى الخروج منه. لنُردِّد عليه كلمات **النبي**: «كَيْفَ قُطِعَتْ وَتَحَطَّمَتْ مِطْرَقَةُ كُلِّ الأَرْضِ؟...قد وُجِدْتِ (**هنا يخاطب بابل رمز الخطية ومملكة إبليس**) وأُمسِكْتِ، لأنكِ وقفتِ ندًّا للرَّبِّ» (إر٥٠: ٢٣،٢٤).

لأنَّهُ في القديم، أي قبل مجيء **المسيح** مخلِّص **الكُلّ**، كان **عَدُوّ المسكونة** يتوهَّم في نفسه أنَّهُ ذو شأنٍ خطير ورهيب، وكان يسخر متبجِّحًا بضعف سكان الأرض قائلًا: «سأقبض على المسكونة كعشٍّ في يدي، وكبيض مهجور سأستولي عليها، ولن يفلت من يدي واحدٌ، ولا مَن يُقاومني» (إش١٠: ١٤).

وفي الواقع، فإنَّهُ ولا واحد مِنْ كُلِّ الذين على الأرض استطاع أنْ يقف ضِدَّ طغيانه، ولكن **الابن** (الوحيد) تحدَّاه وقاومَهُ، بعد أنْ أخذ شَكْلَنَا. لذا، كما قلتُ سابقًا، فإنَّ الطبيعة البشريَّة، إذ غُلِبَت «فيه»، فَازَت «فيه» أيضًا بتاج النصرة. وهذا ما أعلنه قديمًا **الابن** نفسه، حيث يُخاطب **الشيطان** على فم أحد أنبيائه القديسين قائلًا: «هأَنَذَا عَلَيْكَ أَيُّهَا الْجَبَلُ الْمُهْلِكُ، يَقُولُ الرَّبُّ، الْمُهْلِكُ كُلَّ الأَرْضِ» (إر ٥١: ٢٥).

امتلاؤنا من الرُّوح القُدُس، هو قوتنا في مواجهة تجارب الشيطان:

فتعالوا بنا لنرى ماذا يقول **الإنجيليُّ الطوباويُّ** عندما كان **المسيح** منطلقًا ليُحارِبَ عنَّا مع ذاك الذي أفسد كل الأرض: «أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الأُرْدُنِّ مُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (لو ٤: ١).

تأمَّلوا معي هنا **طبيعة الإنسان** حينما مُسِحَت بنعمة **الرُّوح القُدُس** في **المسيح** كباكورة، وصارت فائزة بأرفع الامتيازات. ففي القديم قد وعد إله الكل قائلًا: «وَسَيَحْدُثُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ أَنِّي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ» (يوئيل ٢: ٢٨). وقد تحقَّق الوعد لنا أولًا في **المسيح** (كبداية).

وبينما كان أولئك في القديم يستسلمون بلا ضابط للشَّهوة الجسدية حتى قال **الله** في موضع ما: «لا يعود روحي يسكن في هؤلاء الناس لأنهم بشر» (تك ٦: ٣)، فإنَّهُ الآن قد صارت كُلّ الأشياء جديدة في **المسيح**، وقد نَعِمْنَا بتجديد الحياة بالماء والرُّوح، لأنَّنا لسنا بعد أبناء الجسد والدم بل نَدْعُو **الله** أبانا.

❋ فنحن الآن، وبكل يقين، إذ تكرَّمنا ونلنا امتياز البُنوَّة، صرنا شركاء الطبيعة الإلهية بالمشاركة في **الرُّوح القُدُس**. ولكن ذاك الذي هو بكرٌ بيننا، وصار هكذا بين إخوة كثيرين، وتنازل وأخلى ذاته؛ هو الذي كان أول مَن قَبِلَ **الرُّوح القُدُس**، مع أنَّهُ هو المانح **للرُّوح القُدُس**، وذلك حتى تَصِلَنَا نحن هذه الكرامة ونعمة الأُلفة مع **الرُّوح القُدُس** عن طريقه.

إنَّ هذا يشبه ما يُعلِّمنا إيَّاه **بولس الرسول** كذلك عندما يتكلَّم عنه وعنَّا قائلًا: «لأَنَّ الْمُقَدِّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ، فَلِهذَا السَّبَبِ لاَ يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِخْوَةً، قَائِلاً: أُخَبِّرُ بِاسْمِكَ ''إِخْوَتِي''، وَفِي وَسَطِ الْكَنِيسَةِ أُسَبِّحُكَ» (عب٢: ١١-١٢)

فلكونه لم يستحِ على الإطلاق أنْ يدعونا إخوة، نحن الذين قد شابهناه، لذلك قَبِلَ على نفسه فقرنا وتقدَّس معنا، مع أنَّهُ هو المُقَدِّس لكُلِّ الخليقة، وحتى لا نراه رافضًا لمنزلتنا البشريَّة، وهو الذي قَبِلَ من أجل خلاص وحياة الكل أنْ **يصير إنسانًا**.

كيف امتلأ المسيح من الرُّوح القُدُس، وهو مانح الرُّوح القُدُس:

فعندما يقول **الإنجيليُّ الحكيم** عنه: «أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الأُرْدُنِّ مُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ»، فتمعَّن في حكمة التدبير الذي به صار **(الكلمة)** موضع إعجاب هكذا؛ إذ قد صار **جسدًا** (أي إنسانًا) غير متجنِّب ما يختص بحالة الإنسان الرَّاهنة، وغير محتقر لِمَسْكَنَتِنَا، بل لكي نغتني نحن بما له، بصيرورته على شبهنا في كُلِّ شيء ما خلا الخطيَّة وحدها.

فهو تقدَّس كإنسان، ولكنه هو الذي يُقدِّس **كإله**. فلكونه بالطبيعة **إلهًا**، لذا قيل إنَّهُ **صار إنسانًا**.

يقول (الإنجيلي): «وكان يُقتاد بالرُّوح في البَرِّيَّةِ أربعين يومًا يُجرَّب من إبليس»:

لماذا صام المسيح، وهو غير محتاج للصوم؟

فهو قد مكث في البريَّة بالرُّوح، أي روحيًّا، لأنه صام غير سامحٍ لنفسه بأي طعام مهما كان ضروريًّا لحاجات الجسد. وهنا قد يعترض أحدكم قائلًا: "**وأيُّ ضررٍ يلحق بيسوع لو أنَّهُ داوم السُّكنى في المدن الآهلة بالناس؟ وما هي المنفعة التي تعود عليه في اختياره سُكنى البريَّة؟ ولماذا أيضًا صام؟ وما هي الضرورة التي تُلزمه أنْ يتعب، وهو الذي لا يعرف أي إحساس أو رغبة منحرفة**"؟

✻ إنَّ القصد الذي جعله يفعل هذا، هو أنْ يضع نَصب أعيننا أعمالهُ قدوة لنا، ويؤسِّس نمطًا أفضل مِنَ الحياة وطريقًا أَجْدَرُ بالإعجابِ.

هذا النمط ما زال يُمارس بيننا، أعني به حياة **الرُّهبان القديسين**. لأنَّهُ كيف كان يتأتَّى لِبَشَرٍ على الأرض أنْ يعرفوا أنَّ طريقة سُكنى البراري تكون ذات نفع لهم وأفضليَّة جليلة القدر للخلاص؟ لأنَّهم يخلون إلى أنفسهم، متفادين – إذا جاز التعبير – الأمواج والعواصف وسائر الاضطرابات والارتباكات الباطلة التي لهذا العالم، وَهُم في ذلك يتشبَّهون بما عمله **المغبوط يوسف**، فهم يتجرَّدون من كل شيء ويردُّون للعالم ما يخصّه. **(ملحوظة: يوسف الصدِّيق بسبب التعاضد مع النعمة الإلهيَّة، استطاع صَلْبَ جسده وأهوائه، والهروب من مكيدة زوجة فوطيفار في مصرَ)**.

عن مثل هؤلاء الذين ينزعون أنْ يحيوا هكذا، يقول **الحكيم بولس** أيضًا: «وَلكِنَّ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ.» (غل٥: ٢٤). وهو يُبيِّن لهؤلاء الذين اختاروا هذا الأسلوب من الحياة **أنَّ الزُّهدَ هو أمرٌ ضروري**، وأنَّ ثمرته هي الصَّوم والقُوَّة على الاحتمال وضبط النفس. **والشَّيطان** يُغْلَب عندما يُجرَّبهم.

ولكن ينبغي أنْ نُدقِّق الانتباه فيما عمله **المسيح** هنا بصفة خاصة. فقد اعتمد أوَّلًا، **وامتلأ بالرُّوح القُدُس**، ثم اعتزل في البريَّة، وبدأ النُّسك أي الصِّيام كسلاحٍ. وهكذا كان مُستعدًّا عندما اقترب منه **إبليس**، فردَّه على أعقابهِ. وهكذا وضع لنا مثالًا يُحتذى.

كذلك ينبغي عليك أنتَ أيضًا أنْ تلبس **سلاح الله (الكامل)**، لابسًا **درع الإيمان وخوذة الخلاص**. يجب عليك أيضًا أن تلبس قُوَّة من العلاءِ، أي تكون لك **شركة في الرُّوح القُدُس**، الأمر الذي يتحقَّق لك بواسطة المعموديَّة المقدَّسة، وعندئذٍ يمكنك أن تمارس الحياة المحبوبة جدًّا والمكرَّمة عند الله. عندئذ يمكنك أنْ تتخذ لنفسك سُكنى البراري (إذا شئت)، ولكن لا بُدَّ لك أنْ تُمارس صومًا مقدَّسًا، وتقطع من نفسك كُلّ أهواء الجسد؛ فتهزم **إبليس** إذا ما تقدَّم للتجربة.

✻ **(هنا يتكلَّم القديس كيرللس عن شروط النصرة على عدو الخير، ويريد أن يقول إن سُكنى البرية والصوم وحدهما لا يكفيان دون الشروط السابقة: سلاح الله الكامل: درع الإيمان وخوذة الخلاص؛ وشركة الرُّوح القُدُس)**.

وفي الواقع، نحن في المسيح فُزنا بكل هذه الأمور.

✻ عجبًا! إنَّهُ **(المسيح)** يَظهر بين المبارزين، بينما هو **كإله** يمنح الجائزة للفائزين، هو يبدو بين اللابسين إكليل النصر، مع أنَّهُ هو الذي يضع الأكاليل على رؤوس القديسين.

فلنتأمل براعة مصارعاته، إذ عندما انقضت أربعون يومًا على الصوم،

«جاع أخيرًا»:

مع أنه هو المُعطي الطعام للجياع، وهو نفسه الخبز النازل من السَّماء والمعطي الحياة للعالم، وهو الذي به قوام كُلّ شيء. ولكن، من جهة أخرى، كان يلزم لِمَن لم يستنكف (يستنكف =إِمْتَنَعَ، كَفَّ) من مَسْكَنَتِنَا ألَّا يتحاشى أي شيء يتعلَّق بمنزلة الإنسان المتواضعة، كان يلزم أن يسمح لجسده بأنْ يطلب حاجاته الطبيعيَّة؛ من هنا قيل إنَّهُ «جاع». ولكن لم يكن الأمر كذلك حتى أكمل الصَّوم، وبقوَّته حُفِظَ دون هزال، رغم امتناعه عن الطعام والشَّراب حتى يجعله أخيرًا بالكاد يعي أحاسيسه الطبيعيَّة، لذلك «جاع».

✻ لكي بالاثنين معًا (أي الصَّوم دون ذبول الجسد، وسماحه لنفسه بالإحساس بالجوع أخيرًا) يُعرَف ذاك الذي هو إله وإنسان معًا في ذات الشخص الواحد: **كَأسمى مِنَّا في لاهوته، وكمساوٍ لنا في بشريَّتِهِ**.

التجربة الأولى:

«وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ، فَقُلْ لِهذَا الْحَجَرِ أَنْ يَصِيرَ خُبْزًا» (لو ٤: ٣).

عندما اقترب إبليس ليُجرِّبه، متوهِّمًا أنَّ إحساس الجوع سيُساعده على **مكيدته المحبوكة**، لأنَّهُ في أحيانٍ كثيرة يقوى علينا منتهزًا ضَعفاتنا لتسهيل حَبْك مؤامراته ومغامراته؛ فكَّر أنَّ **«الرَّغبة»** ستدفعه بلهفةٍ أنْ يرى خبزًا جاهزًا يسدُّ به رَمَقَهُ. لذلك «قَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ، فَقُلْ لِهذَا الْحَجَرِ أَنْ يَصِيرَ خُبْزًا» (لو ٤: ٣).

فالشيطان يتقدَّم إلى **المسيح** وكأنه إنسان عادي وكواحد من القديسين، لأنَّهُ كان **مُرتابًا** في أن يكون هو «**المسيح**».

فبأيَّة كيفيَّة أراد أنْ يتحقَّق مِنْ هذا؟

لقد اعتبر أنَّ تحويل طبيعة أي شيء إلى غير ما هي عليه سيكون مِنْ عمل وفعل القُوَّة الإلهيَّة، لأنَّ **الله** هو الخالق لهذه الأشياء، وهو الذي في سلطانه أنْ يحوِّلها. فلو قال **المسيح**: «لتَصِرْ هذه خبزًا»، فإنَّهُ بالتأكيد سيكون هو الآتي الذي **سيهدم قوتي**. ولكن إذا رفض أنْ يقوم بعمل هذا التحويل، فسأتعامل معه كإنسان، وبالتالي فسأطرح عن نفسي الخوف وأنجو من الخطورة المُحدِقة بي.

وإذ عرف **المسيح** **حيلة الماكر هذا**، لم يَقُمْ بعمل التحويل، ولا قال إنَّهُ لا يَقدِر أو لا يريد أنْ يُتمِّمه؛ بل صدَّ **إلحاح الشيطان وفضوله** قائلًا: «لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ». وبهذا يعني أنَّهُ إذا منح **الله** القُوَّة للإنسان، فإنَّهُ يمكن للإنسان أنْ يبقى بدون طعام ويعيش مثل **موسى** و**إيليا** اللذين **بكلمة الرَّبِّ** قضيا أربعين يومًا دون أنْ يذوقا أيَّ طعام.

فإذا أمكن الحياة بدون قُوَّة للجسد، فَلِمَ أصنع مِنْ هذه الحجارة خبزًا؟ ومِنْ جهةٍ أخرى، فإنَّهُ قَصَدَ عمدًا ألَّا يقول: «لا أقدر» حتى لا ينكر قُوَّتَهُ. ولم يَقُلْ كذلك: «إنه يمكنني ذلك»، حتى لا يعرف الطرف الآخر أنَّهُ هو **الإله** الذي يمكنه وحده إجراء هذه الأمور، ومِن ثمَّ يُوَلِّي الإدبار.

كيف ربحت البشريَّة من تجربة المسيح الأولى:

فتأملوا معي كيف أنَّ **الطبيعة البشريَّة** في **المسيح** تدفع عنها **عيوب شراهة آدم**.

❋ فبالأكل قد انهزمنا، وبالتعفُّف في المسيح قد غَلَبْنا.

وبالطعامِ الذي ينبت من الأرض يقوم جسدنا الأرضي فيطلب لقُوتِهِ ما يُلائمه، أمَّا النفس العاقلة فتتغذَّى لازدهارها الرُّوحي **بكلمة الله**. لأنَّ الطعام الذي تنتجه الأرض يُغذِّي الجسد الذي هو منها، أمَّا الطعام الذي من فوق ومن السَّماء فهو يُقوِّي الرُّوح. قوت النفس هو **الكلمة** الآتية من الله، أي الخبز الرُّوحي الذي «يُشَدِّد قَلْبَ الإِنْسَانِ»، كما يقول المرنِّم في سفر المزامير (١٠٣ : ١٥).

التجربة الثانية:

«وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْمَسْكُونَةِ.» (لو٤: ٥).

تَبًّا لك أيُّها **الكائن الماكر الشِّرير**، كيف تجرَّأت أنْ تُري **الرَّبَّ** كُلّ ممالك المسكونة وتقول له: إنَّ هذه كلّها مِلْكٌ لك؟ ثم تقول: «**إن سجدتَ أمامي يكون لك الجميع**». كيف تَعِدُ بما لا تملك؟ مَنْ جعلك وارثًا لممالك الله؟ ومَنْ أقامك ربًّا تحت السَّماء؟ لقد اغتصبت ذلك احتيالًا. فرُدَّ ذلك كله **للابن** المتجسِّد **رَبِّ** الكُلِّ.

واسمع ما يقوله **إشعياء النبيّ** عنك: «هل أُعِدَّ ذلك لك لكي تملك؟ إنَّهُ بحيرة عميقة، نار وكبريت وحطب معدٌّ، غضب الرَّبّ كبحيرة متقدة (بنار) وكبريت» (إش ٣٣: ٣).

فكيف يتسنَّى لكَ، وأنتَ الذي نصيبك النَّار التي لا تُطفأ، أنْ تَعِدَ مَلِكَ الكُلِّ بما يملكه هو؟ أتظن أنك تجعله يسجد لك، وهو الذي يسجد له الكُلّ ويرتعد أمامه، والذي السيرافيم وكل القوات الملائكية تُرتِّل **لمجده؟**

إنَّهُ مكتوبٌ: « لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ» (لو٤: ٨). هكذا أورد **الرَّبُّ** هذه الوصيَّة أمامه، فأصابت **من الشيطان مقتلاً**. ذلك أنَّ **الشيطان** قبل مجيء **المسيح**، خَدَعَ كلَّ مَن تحت السَّماء وصار معبودًا في كُلِّ مكان. لكن شريعة **الله** جرَّدته من السُّلطان الذي اغتصبه احتيالًا، وأَمَرَت البشر أنْ يعبدوا **الله** الإله الحقيقي بالطبيعة وحده، وأن يُقدِّموا له العبادة.

التجربة الثالثة:

«إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ».

التجربة الثالثة التي استخدمها **الشيطان** هي تجربة **«المجد الباطل»**: «اطرح نفسك من هنا إلى أسفل»، كبرهان على ألوهيَّتك. لكنه لم يستطع أنْ يجعله يسقط عن طريق **المجد الباطل**، لكنَّ **الرَّبَّ** أصابه هنا في مقتل. وهكذا أجاب **الرَّبّ**: «إنه قيل: لا تُجرِّب الرَّبّ إلهك».

فإنَّ **الرَّبَّ** لا يُسعف الذين **يجرِّبونه**، بل الذين **يؤمنون به**. ولا يجب علينا بحجة أنَّهُ يسبغ علينا رحمته، أنْ نستعرض هذه القُوَّة. **والمسيح** نفسه لم يُعطِ آية للذين جرَّبوه: «جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ.» (مت ١٢: ٣٩). وعلى **الشيطان المجرِّب** أنْ يسمع نفس الكلام.

وهكذا، فُزْنا نحن بالنُّصرة في **المسيح**، ورجع بالخزي الذي غَلَبَ **آدم** قديمًا، ووطأنا **الشيطان** تحت أقدامنا، لأنَّ **المسيح** الغالب سلَّمنا القُوَّة لِنَغْلِبَ، حينما قال: «هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَانًا لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ.» (لو١٠: ١٩).

لقد ترك **الرَّبُّ** سُكنى المدن، وسَكَنَ البراري. وهناك صام، وتجرَّب من **الشيطان**. وهناك فاز بالنُّصرة من أجلنا. وهناك سَحَقَ **رأس التنين** كما قال **داود** المبارك: «فَنِيَت حِراب العدوّ الى الانقضاء، وَهُدِمَت مُدُنه» (مز٩: ٦)، أي أولئك الذين هم مثل الحصون والمدن.

فالمسيح بعد أنْ ساد على **الشيطان**، وبعد أنْ وَضَعَ الإكليل على طبيعة الإنسان – في شخصه المبارك – بالغنائم التي اغتنمها بِنُصرَتِهِ عليه؛ عاد إلى الجليل بقوَّةِ **الرُّوح**، وبدأ يُمارس سلطانه وقُوَّتَهُ، ويُجري العجائب الكثيرة، ويثير دهشة الجميع.

لقد أجرى العجائب، لا كأنه نال نعمة **الرُّوح** مِنْ خارجه كما لو كانت موهوبة له مثلما وُهِبَت لجماعة القديسين؛ بل باعتباره بالطبيعة والحقّ **ابن الله الآب**، آخذًا ما هو له كميراث خاص له. لأنَّهُ قال **للآب**: «وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي، وَأَنَا مُمَجَّدٌ فِيهِمْ.» (يو١٧: ١٠).

لقد تمجَّد – حقًّا – بممارسته سلطانه الخاص، وسلطان الرُّوح الذي هو من ذات الجوهر.

الإصحاح الثاني

العظة السادسة (١كو٢: ١-٥)

تتمة من العدد السابق

٣ – إذن مَنْ ذَا الذي لَنْ يَسْجُدَ له، ولن يعتبره **الله**، عندما يرى السَّماوات وقد انفتحت، وأنَّ **المسيح** نفسه يأتي على السَّحاب، وكُلّ القوَّات السماويَّة تُحيط بِهِ، وأنهار النّار تجري، وكُلّ البَشر ماثلين هناك، ومرتعدين؟ أخبرني، هل السجود وهذه المعرفة، هي بالنسبة للأُمي، إيمانٌ؟ لا على الإطلاق. فماذا يكون في كُلِّ الأحوال؟ مِنَ الواضح أنَّ هذا ليس إيمانًا، لأنَّ الضرورة هي التي ألزمته أنْ يفعل هذا، ووضوح الرُّؤية أيضًا، وأنَّ الأمر غير مرتبط بالإرادة، بل الحادث إنَّ الذِّهن قد انجذب مِنْ عظمةِ كُلِّ ما رآه. إذًا بقدر ما تكون الأحداث أوضح وألزَمَ، بقدر ما يزيد أو ينقص مقدار الإيمان، ومِنْ أجل هذا لا تحصل معجزات الآن. ومن حيث أنَّ الأمر هو هكذا، إسمع ماذا قال **المسيح لتوما**: «طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا» (يو٢٠: ٢٩). فعلى قدر قبول المعجزة الأكثر وضوحًا، بقدر ما تقلّ مجازاة الإيمان. كذلك إنْ حدثت الآن آيات وعجائب، سيحدث نفس الأمر.

إذًا مِنْ حيثُ أنَّه لم يَكُن لنا أنْ نعرفه، إلَّا بالإيمان، فهذا أعلنه **القديس بولس** بقوله: «لأَنَّنَا بِالإِيمَانِ نَسْلُكُ لاَ بِالْعِيَانِ.» (٢كو٥: ٧). فكما هو الحال آنذاك، فإنْ كانَ إيمانك مرتبطًا بالمعجزة، فلن يكون له قيمة كبيرة، لأنَّ الآيات والعجائب كانت واضحة كُلّ الوضوح، هكذا الآن أيضًا، لو حدثت مثل هذه المعجزات كما كانت تحدث في الماضي، فلن يكون للأيمان عندئذ قيمة كبيرة. عندما نقبل بكلِّ ما لا يمكن قبوله بالمنطق، عندئذ، يكون هذا الإيمان، ولأجل هذا فإنْ كان الجحيم ظاهرًا، لحدث نفس الشيء أيضًا. مِنْ ناحية أُخرى، لو أنَّكَ طلبتَ معجزات، فسترى معجزات، وإنْ كانت أنواعًا أُخرى مِنَ المعجزات، مثل: التنبؤات الكثيرة عن أشياء كثيرة، رجوع المسكونة **للمسيح**، التعليم المسيحيّ المملوء بالحكمة، التحوُّل الذي حدث في نفوس أصحاب الأخلاق المتوحِّشة، واتساع مساحة التَّقوى.

لكن سيقول قائل: أيُّ تنبؤات تقصد؟ لأنَّ كلّ هذه الأمور الذي ذُكِرَت، كُتِبَت بعدما تحقَّقت هذه النبوءات. أخبرني متى وأين؟ ، وتحتَ حُكم مَنْ؟ وكم من الأعوام استغرقت؟ هل خمسون أم مئة عام؟ بالطبع، لم يَكُن لديهم أيّ شيء مكتوبًا على الإطلاق فيما يتعلَّق بهذا الأمر لمدة مئة عام. إذًا كيف قَبِلَت كُلّ المسكونة كُلّ العقائد الإيمانيَّة، وكُلّ ما هو متَّصل بالإيمان، طالما أنَّ الذَّاكرة لم تكُن كافية؟ وكيف أَقَرُّوا أنَّ **بُطرس قد صُلِبَ**؟ كيف فَكَّرَ الذين أَتوا بعد ذلك في أنَّ الإنجيل (البشارة المُفرِحَة)، سينتشر في كُلِّ المسكونة، وأنَّ كُلّ الممارسات اليهوديَّة ستَبطُل، ولن تعود مرَّة أُخرى؟ وهؤلاء الذين عرَّضوا حياتهم للخطر مِنْ أجل أنْ تَصَل البشارة إلى كُلِّ مكان، كيف سيتحمَّلون أنْ يروا الكرازة وهي تُزَيَّف؟ كيف لهؤلاء الكُتَّاب أنْ يكونوا موضع ثقة، إنْ كانت المعجزات قد توقَّفت؟ وكيفَ كان لكُلِّ ما كُتِبَ أنْ يَصِل إلى بلاد البربر، والهنود، وإلى أقاصي المسكونة، إنْ لم يكن **الكارزون بالإنجيل، موضع ثقة واستحقاق؟**.

مَنْ هُم الكُتَّاب، ومتى كَتَبوا، وأين؟ ولماذا ولأيِّ سببٍ كتبوا؟ لكي يكتسبوا مجدًا شخصيًّا؟ كيف نشروا ونقلوا هذه الكتابات للآخرين؟ هل لأنَّهم كانوا يُريدون أنْ يُحَدِّدوا العقيدة؟ وهل كانوا يرغبون في أنْ يُحَدِّدوا **ما هي العقيدة الحقيقيَّة**، وما هي **العقيدة الكاذبة**؟ لأنَّهم لو كانوا قد رَكَّزوا اهتمامهم على شيءٍ كاذب، لكانَ مِنَ الطبيعي ألَّا يأتوا إلى الإيمان. ولكن إنْ كانوا قد دَعوا الآخرين لأن يؤمنوا بشيء حقيقي، ما كانوا ليحتاجوا لابتداعات، كما تقول أنت. كذلك فإنَّ النُبؤات كانت هكذا، حتى أنَّ كُلَّ ما قيل إلى اليوم لم يَكُن ممكنًا أنْ يظهر على أنَّهُ كذِبٌ طوال هذا الزَّمان، بمعنى أنَّ **دمار أورشليم** قد حدث منذ سنواتٍ طويلة (عندما احتَلَّ الرُّومان بعد حصارٍ طويل في ٧ آب أُغسطس سنة ٧٠م، حيثُ دَمَّروا المدينة بالكامل، وهدموا اسوارها،

وذبحوا أغلبيّة الشعب تقريبًا). وهناك نُبوءات أُخرى، والتي تُغطّي الوقت منذ تلك الفترة وحتى المجيء الثاني، والتي لكَ أنْ تفحصها كما تُريد، مثل: «وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (مت ٢٨: ٢٠)، وَ «عَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا.» (مت١٦: ١٨) ، «وَيُكْرَزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ» (مت ٢٤: ١٤) ، و « يُخْبَرْ أَيْضًا بِمَا فَعَلَتْهُ هذِهِ، (المرأة الزانية) تَذْكَارًا لَهَا» (مت ٢٦: ١٣)، ونُبؤات أُخرى كثيرة، بل وأكثر مِنْ هذه النُبؤات.

إذًا مِنْ أين أتت هذه النبوءات، وكيفَ تحقّقت، إنْ كانت هي حقًّا، إبتداعًا؟ كيف لَنْ **تقوى أبواب الجحيم** على **الكنيسة؟** وكيف يكون **المسيح** معنا على الدوام؟ لأنَّه إنْ لم يَكُن **المسيح** معنا، ما كانت الكنيسة لتنتصر وتَغْلِب. وكيف انتشر **الإنجيل** في كُلِّ المسكونة؟ يكفي ما قيل ضدَّنا، من حيثُ استخدام كُتبنا القديمة والتي تبقى شاهدة على ما قاله **«كلسوس»** (كلسوس هو فيلسوف يوناني ظهر في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، حارَبَ المسيحيَّة بِشِدَّةٍ، وألَّفَ كتابًا بعنوان **كلمة الحق** وقد رَدَّ عليه العلامة أوريجانيس في كتابه: «**ضدّ كلسوس**»). ومن بعده **فاتانيوتيس**، لأنَّ الفلاسفة لم يُجادلوا في ما قد انتشر (مِنْ تعاليم) بعد هؤلاء، لأنَّ المسكونة كلّها بآتفاق، قد قَبِلَتها. فإنْ لم توجد نعمة **الرّوح القُدُس**، ما كان ليحدث كُلّ هذا الاتفاق التّامّ مِنْ أقصى المسكونة إلى أقصاها، لكن سُرعان ما اكْتُشِفَ **كَذِبُ المبتدعين**، فَكُلّ ما قد تمّ، ومثل هذه الإنجازات التي تحقّقت، ما كان يُمكن أنْ تحدث بابتداعات خياليَّة، وَكَذِبٍ.أَلَا ترى أنَّ كُلّ المسكونة قد قَبِلَت الإيمان، وأنَّ الخِداع قد انهار؟ أَلَا ترى أنَّ حكمة الرُّهبان تُشرق أكثر من إشراقة الشَّمس؟ أَلَا ترى جموع العذارى، والتقوى والوَرَع الذي صار يتمتَّع به البربر؟ أَلَا ترى الجميع عبيدًا تحت النير؟ «إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ حَرَّرَنَا وَأَطْلَقَنَا فِي سَبِيلِ الْحُرِّيَّةِ. فَاثْبُتُوا إِذَنْ، وَلا تَعُودُوا إِلَى الارْتِبَاكِ بِنِيرِ الْعُبُودِيَّةِ.» (غلاطية ٥: ١)، وليسَ من قِبَلنا فقط قد قيل هذا الكلام، بل ومن الأنبياء الملهمين بالرُّوح. لن تتشكَّك بالطبع في تلك النبوءات، لأنَّ هذه الكُتب هي لدى أعدائنا، وتُرجمت من مثقّفين يونانيين إلى اللغة اليونانيّة. **فهؤلاء الأنبياء**، سَبَقَ وتكلَّموا بالكثير عن هذه الأمور، مُبرهنين: على أنَّ ذاك الذي قرَّر أنْ يأخذ جسدًا ويأتي وسطنا، هو الله.

٤ – إذًا كيف لا يؤمن الجميع الآن؟ لأنَّ الأمور آلت إلى الأسوأ، ولهذا **فنحنُ أنفسنا سببٌ في هذا**، يبقى أنْ نتحدَّث **عن أنفسنا**. إنَّ المعجزات لم تَكُن آنذاك هي السَّبب الوحيد لإيمان أولئك، بل إنَّ كثيرين ممن قبلوا الإيمان، قد انجذبوا إليه بسبب **أُسلوب حياة المؤمنين**. لأنَّ الكتاب يقول: «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.» (مت ٥: ١٦)، وأيضًا: «وَكَانَ لِجُمْهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِ لَهُ،بَلْ كَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكًا ... فَكَانَ يُوزَّعُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ كَمَا يَكُونُ لَهُ احْتِيَاجٌ » (أع ٤: ٣٢-٣٥)، وعاشوا حياة ملائكيَّة. فإنْ حدث اليوم هذا، ستعود المسكونة كلّها إلى الإيمان.

لهذا فإنَّ هؤلاء الذين يُريدون أنْ يَخلُصوا، عليهم أولًا أنْ يهتمُّوا بالكُتب المقدّسة ويُفتّشوها، لأنّهم سيجدون فيها هذه الأمور، بل وأكثر مِنْ هذه الإنجازات التي تحقّقت. وكما هو معروفٌ فإنَّ هؤلاء المعلّمين قد تجاوزوا تلك الإنجازات، وعاشوا في جوعٍ وعطش وعُريٍ بينما نحنُ نريد أنْ نتمتّع بأطعمة كثيرة، واستجمام وراحة، لكن أولئك لم يرغبوا في شيء مثل هذا، بل جالوا مُبشّرين بالكلمة. يقول **الرسول بولس**: «إِلَى هذِهِ السَّاعَةِ نَجُوعُ وَنَعْطَشُ وَنَعْرَى وَنُلْكَمُ وَلَيْسَ لَنَا إِقَامَةٌ» (١كو٤: ١١). والبعض كان يركض من أورشليم حتى الليركون (الليركون: مقاطعة رومانية على الشاطئ الشرقي للبحر الأدرياتيكي Adriatic Sea. وقد سميت هذه المقاطعة فيما بعد باسم دلماطية وهي الآن جزء من يوغسلافيا Yugoslavia. ويقول بولس الرسول في (الرسالة إلى أهل رومية ١٥: ١٩) أنه نادى بإنجيل المسيح من أورشليم وما حولها إلى الليركيون. وأنَّهُ لسبب خدمة بولس التبشيرية وغيره من المسيحيين تثبَّتت رسالة المسيح وتأصلت المسيحية في الليريكيون Illyricum أثناء القرن الأول والثاني الميلاديَّيْن. والقديس إيرونيموس (٣٤٠-٤٢٠ ميلادية) الذي ترجم الكتاب المقدس إلى اللاتينية تلك الترجمة المعروفة باسم «الفُلجات» ولد في الليريكون.)، وتلميذ آخر انطلَقَ إلى بلاد الهند، وآخر إلى بلاد ذوي البشرة السمراء (أي أفريقيا)، وآخر انطلق إلى أجزاء أُخرى مِنَ المسكونة. أمَّا نحنُ فلا نُريد ولا نَجرُؤ أنْ نتحرَّك أو نترك وطننا. بل نسعى في طلب الحياة الرَّغِدةِ، والبيوت الفخمة، وكُلّ أنواع الخيرات الوفيرة. **مَنْ مِنَّا** جاءَ لأجل نشر كلمة الله؟ **مَنْ مِنَّا** أقامَ في البريَّة؟ **مَنْ مِنَّا** رحَلَ وتغرَّب في بلدٍ بعيد؟ مَنْ مِنَ المعلّمين الآن يعيش مِنْ أعمال يديه، ويُساعد الآخرين؟ **مَنْ مِنَّا** جَازَ ميتات كُلّ يوم؟ لأجلِ هذه الأسباب مجتمعة، فإنَّ أولئك الذين يعيشون بيننا، هم أكثر خمولًا. فإنْ كانَ أحدٌ قد رأى جنودًا وقادةً وهم يحاربون رغم الجوع والعطش وخطر التعرُّض للموت، وقد اجتازوا كُلّ المتاعب والصِّعاب الأُخَر، بل وصبروا على البَرد القارص، والأخطار بنفسٍ جسورة وشُجاعة، وبالرغم مِنْ كُلِّ هذا قد نجحوا في تحقيق النَّصر. ولكن إنْ رآهم أحدٌ بعد ذلك وهم يهجرون **تلك الحكمة**، ويشتهون جمع الأموال، ويوجّهون أنظارهم واهتماماتهم نحو المشروعات التجاريّة، وجني الأرباح التي تأتي مِنَ التجارة، ثُمّ ينتهي بهم الحال إلى الهزيمة مِنْ أعدائهم، فسيكون مِنَ الحماقة الكبيرة أنْ يبحث عن الأسباب التي أدَّت **للهزيمة**.

يجب أيضًا أنْ نُطبِّق هذا الأمر على أنفسنا، ونُقارنه بموقف أسلافنا، لأنَّنا قد صرنا أضعف مِنَ الجميع، وركّزنا اهتماماتنا في الحياةِ الحاضرة. وإنْ وُجِدَ شخصٌ قد تَبِعَ خُطَى التَّقوى كما عاشها القدماء، بعدما يكون قد هجر المدن والأسواق والتحولات أو التقلبات الاجتماعيّة، وتعاليم الآخرين، وعاش في الجبال، ثمَّ جاءَ أحدٌ ليسأل عن سبب الرَّحيل إلى الصحراء سيجدُ حُجَّةً، ربما لا تحوز القبول. قد يقول: تركت العالم حتى لا أهلك باطلًا، وحتى لا أضعف في حياة الفضيلة. ولكن كَم هو أفضل بكثير أنْ تضعف أنتَ، وأنْ تربح الآخرين، على أنْ تُقيم في جبلٍ مرتفع، وتترك إخوتك غير مبالٍ بهلاكهم؟ إذًا عندما يهمل البعض اقتناء الفضيلة، والبعض الآخر يهتمُّون باقتنائها، ويقيمون بعيدًا عن جماعة المؤمنين، فكيف لنا **أنْ نهزم الأعداء؟** مَنْ

سيقتنع بذلك، حتى وإنْ كانت المعجزات لا زالت تُجرى حتى الآن؟ مَنْ مِنْ أولئك الذين هم خارج الإيمان، سيركُض نحونا، طالما أنَّ الشَّرَّ هو السَّائد فيما بيننا؟ حياتنا المستقيمة تبدو أكثر إقناعًا لكثيرين، لأنَّ السُّفهاء والأشرار سَيَظُنُّون ظنونًا شرِّيرة حتى تُجاه المعجزات، أمَّا الحياة النقيَّة سُيُمكنها بسهولةٍ كبيرةٍ أنْ تَسُدَّ فَمَ **الشَّيطان** ذاته.

هذه الأمور أقولها للرُّؤساء والمرؤُوسين، وقبل أنْ أقولها للآخرين، أقولها لنفسي، حتى نُقَدِّم صورة لحياة مُعجِزِيَّةٍ، وبعدما نُرتِّب أوضاعنا، فلندَع أنفسنا لا تهتم بأمور العالم الحاضر. فلنزدرِ المالَ، ولا ينبغي أنْ نستهين **بالجحيم**، وليتنا لا نهتم **بالمجد الباطل**، بل نهتم **بالخلاص**، ولنتحمَّل التَّعب والألم في هذه الحياة الحاضرة، حتى لا تكون نهايتنا هناك، هي **الجحيم**. هكذا فلنُحارب الوثنيِّين، ولنأسرهم بالأسر الذي هو أفضل من الحريَّة.

إنَّنا دائمًا ما نقول هذا الكلام، لكننا لا نُطَبِّقه إلَّا قليلًا. وَبِصَرف النَظر عمَّا اذا كانت هذه الكلمات تُطَبَّق أم لا، فإنَّهُ مِنَ العدل أنْ نقولها. فطالما أنَّ هناك أُناسًا يُخدَعون لمجرَّد سماعهم لكلماتٍ بَرَّاقَةٍ، فالأهم جدًّا يجب على أولئك ألَّا يعوقوا أحدًا ممن يقودون الناس إلى الحقيقة مرَّة أُخرى، عن طريق الاستمرار في الحديث عن كُلِّ ما هو نافعٌ ومفيد. أي طالما أنَّ المخادعين يستخدمون حِيَلًا كثيرة جدًّا - **حيثُ يُنفقون أموالاً ويتكلَّمون أو يَعِظون ويحتملون المخاطر والميتات ويَسعون للحماية - فالأهم جدًّا يجب علينا نحنُ الذين نَسعى في إنقاذ الناس مِنَ الخِداع**، أنْ نحتمل الأخطار والميتات وكُلّ شيء، حتى بعدما نربح أنفسنا، ونربح الآخرين، وبعدما نُصبح مرفوعي الرُّؤُوس في مواجهة مُقاومينا، ننال الوعود التي لنا في **المسيح يسوع ربّنا، الذي يليق به المجد والقوَّة والكرامة، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الدهور، آمين.**

(يتبع في العدد القادم)

اسم الرَّبّ يسوع - للقديس يوحنا ذهبي الفم

«وَكُلُّ مَا عَمِلْتُمْ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، فَاعْمَلُوا الْكُلَّ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ، شَاكِرِينَ اللهَ وَالآبَ بِهِ.» (كو ٣: ١٧).

إنْ فعلنا ذلك، لنْ يكون شيء سيِّئًا ولا دنسًا، طالما ندعو باسم **المسيح**. إنْ أكلت، إنْ شربت، إنْ تزوجت، إنْ سافرت، افعل كل شيء باسم **الله**، داعيًا إيَّاه لمساعدتك. في كل شيء صلِّ أوَّلًا، ثم باشر أعمالك.

إنْ شئت أنْ تقول شيئًا فادعُ اسمَه أولًا. لهذا السبب، نحن أيضًا نضع اسم **الله** في بداية كل رسائلنا. حيثما يكون اسم **الله**، يكون كُل شيء مُبشِّرًا بالنَّجاح. لأنَّهُ إنْ كانت أسماء الرُّؤساء تضمن الرسائل المكتوبة، **بعظمة اسمِ الرَّبِّ يسوع المسيح**.

هل تأكل؟ قدِّم الشكر **لله** قبل الأكل وبعده. هل تنام؟ قدِّم الشكر **لله** قبل النوم وبعده. هل تبدأ بالمشاركة في اجتماع ما؟ أفعل كذلك. لا تفعل شيئًا بحسب العالم بل كل شيء باسم **الرَّبّ**، وعندئذ كُلّ شيء سوف يزدهر لك.

حيثما تضع هذا الاسم، هناك تتدبَّر كُلّ الأمور لفائدتك. إنْ كان هذا الاسم يطرد **الشياطين**، إنْ كان هذا الاسم يُبعد الأمراض، فمن شأنه غالبًا ما يجعل العمل او المهمة أسهل.

لكن ماذا يعني الرسول بقوله: «وَكُلُّ مَا عَمِلْتُمْ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، فَاعْمَلُوا الْكُلَّ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ، شَاكِرِينَ اللهَ وَالآبَ بِهِ» (كو ٣: ١٧)؛ يعني بذلك: عند الطلب والسؤال، وأيضًا عند فِعْلِ أيِّ شيء مهما كان.

تأمل كيف أرسل **ابراهيم** خادمه باسم **الله**، وكيف انتصر **داود** على **جوليات** باسم **الله** (تك ٢٤ و ١ مل ١٧). عجيب هو اسمه، وعظيم أيضًا، أرسل **يعقوب** أبناءه قائلًا: «واللهُ القدير يهبكم رحمة أمام الرجل» (تك٤٣: ١٤)، لأنَّ الذي يفعل كذلك يكون **الله** حليفه، وبدونه لا يتجرَّأ على فعل أيِّ شيء. كوننا قَدَّمنا له الاكرام باستدعاء اسمه، سوف يكرمنا **الله** بدوره بجعل مهمتنا سهلة. ناشد **الابن**، أشكر **الآب**. لأنَّهُ إنْ دعونا **الابن** ندعو **الآب**، وإنْ شكرنا **الله الآب** نشكر **الابن** أيضًا. دعونا نتعلم ذلك، لا لنتحدث عنه فقط، بل لنطبقه بالعمل أيضًا. لا شيء يعادل هذا الاسم. عجيب هو في كل مكان.

يقول الكتاب «اسْمُكَ دُهْنٌ مُهْرَاقٌ» (نش١: ٣). فمن ينطق به يمتلئ حالًا بالعطر. وأيضًا: «وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَسُوعُ رَبٌّ» إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ.» (١ كور١٢: ٣). هذا الاسم يعمل أعمالًا عظيمة.

إنْ قلتَ باسم الآب والابن والرُّوح القُدُس، وبإيمان فعلت ذلك، فقد أنجزت كل شيء. تأمل الأمور العظيمة التي تحدث في المعموديَّة! أنَّهُ يتم خلقة إنسانٍ جديدٍ. هكذا أيضًا عندما يُستخدم الاسم في طرد الأمراض، هذا الاسم رهيب .... إنْ ردَّدت هذا الاسم بإيمان، سوف تُبعد كِلَا **الأمراض والشياطين**، وحتى إنْ فشلتَ في إبعاد المرض، هذا ليس مِنْ نقص القوَّة، بل لأنَّهُ مِنَ المناسب أنْ يكون الأمر كذلك.

يقول المزمور: «نظير اسمك يا الله كذلك تسبحتك» (مز٤٧: ١٠).

بهذا الاسم، تَمَّ تغيير المسكونة وهدايتها، وانحلَّ طُغيان الخطيئة، وانهزم **الشيطان**، وفُتحت السَّماوات. وقد وُلدنا ثانية بهذا الاسم. إنْ امتلكناه نُشرق بنوره. يشهد بذلك **الشُّهداء والمعترفون**. لنتمسك بهذا الاسم كهبة ثمينه، كي نحيا في مجد ونُرضي **الله** ونستحق خيراته التي وعدها للذين يحبونه، بنعمة ورأفات **ربنا يسوع المسيح** الذي يليق به مع **الآب والرُّوح القُدُس** المجد والقدرة والكرامة الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

الثالوث القدّوس

القديس أثناسيوس الكبير

ولكن بالإضافة إلى ذلك، دعونا ننظر إلى **تقليد الكنيسة الجامعة وتعليمها وإيمانها**، الذي هو مِنَ البداية، والذي **أعطاه الرَّبُّ وكرز به الرُّسل وحفظه الآباء**، وعلى هذا الأساس **تأسَّست الكنيسة**، ومَنْ يسقط منه فلن يكون مسيحيًّا ولا ينبغي أنْ يُدعى كذلك فيما بعد:

الثالوث قدوسٌ وكاملٌ، يُعترَف به **أنَّهُ الله – في الآب والابن والرُّوح القُدُس**، وليس له شيء غريب أو خارجي ممتزج به، ولا يتكوّن مِنْ خالق ومخلوق، ولكن الكُلّ يَبني ويَخلق، وهو متماثل في ذاته وغير منقسم من جهة الطبيعة، **وفعله واحد**.

فالآب يعمل كل الأشياء **بالكلمة في الرُّوح القُدُس**.

وهكذا تُحفظ وحدة **الثالوث القدوس** سالمة، وهكذا يُكرز بإله واحد في الكنيسة، «الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وبالْكُلِّ وَفِي الْكُلِّ» (أف ٤:٦).

«عَلَى الْكُلِّ» أي **كأبٍ وكبدء وكينبوع**. «وبالْكُلِّ» أي **بالكلمة**. «وَفِي الْكُلِّ» أي **في الرُّوح القُدُس**.

هو ثالوث ليس فقط بالاسم والصيغة في الكلام، بل بالحقّ والوجود الفعليّ. لأنَّهُ كما أنَّ **الآب** هو الكائن الذي يكون (خر٣:١٤)، هكذا أيضًا **الكلمة** هو الكائن والإله على الكُلّ (رو٩:٥)، **والرُّوح القُدُس** ليس بدون وجود حقيقي، بل هو موجود وله كيان فِعْليٌّ.

وليس بأقل من هؤلاء الثلاثة تعتقد الكنيسة الجامعة، لئلا تنزلق إلى **أفكار سابيليوس، وأفكار اليهود المعاصرين الرديئة** الذين يتبعون **قيافا**، كما أنَّها لا تعتقد بأكثر من ثلاثة، لئلا تنزلق إلى تعدُّد الآلهة الذي لليونانيِّين. ولكي يَعرف هؤلاء أنَّ هذا هو **إيمان الكنيسة**، فدعهم يفهمون كيف أنَّ **الرَّبَّ** حينما أرسل **الرُّسل**، أوصاهم أن يضعوا هذا **الأساس للكنيسة** قائلًا: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ.» (مت٢٨:١٩). فمضى **الرُّسل** وهكذا عملوا، وهذه هي الكرازة التي انتشرت إلى كل الكنيسة التي تحت السَّماء ...

المبارك بولس، إذ عَرفَ هذا، لا يُقسِّم الثالوث كما تفعلون، بل علّم بوحدته عندما كتب إلى الكورنثيين عن المواهب الرُّوحيَّة، إذ يَرُدّ كُلّ الأشياء إلى إله واحد، **الآب** قائلًا: «فَأَنْوَاعُ مَوَاهِبَ مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ الرُّوحَ وَاحِدٌ. وَأَنْوَاعُ خِدَمٍ مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ الرَّبَّ وَاحِدٌ. وَأَنْوَاعُ أَعْمَال مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ، الَّذِي يَعْمَلُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ.» (١كو١٢:٤-٦).

فالمواهب التي يُقسِّمها **الرُّوح** لكل واحد تُمنح من **الآب بالكلمة**. «كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ.» (يو١٦:١٥)، «وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي» (يو١٧:١٠). وإذن فتلك الأشياء التي تُعطَى من **الابن في الرُّوح** هي مواهب **الآب**. وحينما يكون **الرُّوح** فينا، **فالكلمة** الذي يعطي **الرُّوح** يكون أيضًا فينا، **والآب** موجود في **الكلمة**. وهكذا يكون كما قال: «إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً.» (يو ١٤:٢٣). لأنَّهُ حيث يكون النُّور فهناك الشُّعاع أيضًا، وحيث يكون الشُّعاع فهناك أيضًا فاعلّيته ونعمته المضيئة.

وهذا هو ما علّم به **الرسول** أيضًا حينما كتب **إلى الكورنثيين في الرسالة الثانية قائلًا**: «نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ.» (٢كو١٣:١٤).

لأن هذه النعمة والهبة تُعطى في الثالوث: **من الآب والابن والرُّوح القُدُس**. وكما أنَّ النعمة المُعْطَاةَ هي **من الآب** وبواسطة **الابن**، هكذا فإنَّهُ لا يكون لنا شركة في العطيَّة إلَّا **في الرُّوح القُدُس**. لأنَّنا حينما نشترك فيه تكون لنا **محبة الآب ونعمة الابن** وشركة **الرُّوح القُدُس** نفسه.

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
12-726-111122